

المعجم العربي الجديد المقدمة



هادي العلوي

- هادي العلوي
- المعجم العربي الجديد - المقدمة
- جميع الحقوق محفوظة
- الطبعة الأولى ١٩٨٣
- الناشر :
- دار الحوار للنشر والتوزيع
- سورية - اللاذقية
- ص ب ١٠١٨ - هاتف ٢٢٣٣٩

المعجم العربي الجديد

المقدمة

هادي العلوي

دار الحوار

● اللغة تتغير بالطبع ، لن أماري في هذا ، واوراق الشجرة ايضاً
تتبدل كل عام ؛ بعضها يسقط وبعضها ينمو . لكن الشجرة ذاتها تبقى ،
وتصبح مع كل عام جديد ازهى وأوراق أقوى ، وعليها تنمو في آخر الأمر
الثمار .

رسول همزتوف

● المكثري في النحو كالمكثري من غرس شجر لا ثمر فيه .

ابو حنيفة

فاتحة

يكابد التعبير اللغوي في العربية المعاصرة معضلات جمة يتحسسها الجميع من علماء وادباء وقراء ، وتزداد المطالبة لذلك بالأصلاح والاستجابة لمستلزمات التطور التي توجب إعادة النظر في الكثير من مسلماتنا اللغوية ، التي بصر الالكليروس اللغوي على حراستها بقوة الأمر والنهي . وللتطور احكامه ، وهو في مضمار اللغة مخصوص بما يجعلها وافية بحاجات عصرها ؛ فهو لا يندرج في باب نفي النفي لأن اللغة ليست نتاجاً إجتماعياً صرفاً لمرحلة او طبقة بعينها . لكن التطور اللغوي يعني الكثير حين ينظر اليه خارج هذا المنحى . وفي برهة هائلة كالتى نعيشها لا تكاد لغة مهما تحصنت ضد التغيير أن تكون في نجوة منه ، حاجة تفرضها مسيرة الحياة الساحقة على كل اللغات فترغمها على المجاراة من اجل ان تعيش ، ان اللغة التي لا تتسع لهذه الحاجة مآلها الانقراض .

ولعل اللغويين الذين يحرصون اللغة بقوة الأمر والنهي انما يحرصون ضريحاً لا كائناً حياً . وهم في قيامهم بدور السدنة لا بد أن ينتهوا باللغة الى الانحسار ، امام تحديات البرهة الراهنة ، في لغة كتابة تتلى في المعابد ولغة كلام تقضى بها امور الحياة اليومية ، او ينظم بها الشعر في احسن الأحوال ، متتهين بأهلها في آخر المطاف الى البحث عن لغة صديقة يتعاملون بها مع العصر الحديث .

يشتمل موروثنا اللغوي في جانبه النظري والتطبيقي على الكثير من العناصر التي يمكن الابتداء منها في سيرة الاصلاح ، مما هربه اللغويون المعاصرون عن أعين الناس لأسباب قد تخصهم وحدهم . ونحن الآن في أمس الحاجة الى استعادة هذه المهربات وادماجها في الكيان الجديد المنشود للغة العصر . وسيرى القارئ لهذا الكتاب مطالب تطوير واصلاح مستمدة من قطاعي اللغة ؛ المنطوق والمكتوب ، لا تزيد على كونها أحياء موءودة بفعل التحيز الاكليروسي .

على اني لا أجد ما يلزمنا بالوقوف عند حدود الماضي ما دمنا نعيش في هذه الحياة الساحقة . وليس من شك في اننا مطالبون بالتوسع فيما لم يتوسع فيه الغابرون من الحلول اللغوية التي تقوم على اساس خدمة القواعد للغة وليس اللغة للقواعد .

ناظراً الى هذه الحقائق ، يعالج هذا الكتاب مواد من الموروث والراهن أريد بها إنشاء صورة اصلاح مقترحة تطمح الى توفير حلول معقولة لمشكلة التعبير اللغوي في مناحيه المتعددة من لغة علم وكتابة وكلام وتلاوة . وهو باستمزاها كلاماً من الموروث والراهن يريد ان يكون المقترح وسيلة اصلاح وإثراء لا انقطاع وافقار ، ووسيلة تفاهم وتوحيد ضد الانشطارات العشوائية في اللغة .

ويصبو المقترح - في جملة ما يصبو اليه - الى ان يتأسس في مشروع معجم جديد يقوم على العربية الموسعة : عربية القاموس مضافاً اليها عربية الدارج ، بعد تشذيب محتوياتها وفق المبادئ التي سنعرض لها في الكتاب . وقد وضعت خطة العمل في المعجم مسترشداً بهذه المبادئ .

على انني اذ ادرك وعورة الدرب الموصل الى مثل هذا الانجاز لا اجد الاسراع فيه ضرورياً او محموداً . واني لأطمح الى العون من الذين تخطهم مشكلات اللغة والمعرفة في عالمنا العربي . وسوف اترث على الأقل حتى يتنشر هذا الكتاب ويقرأ ، قبل الاقدام على وضع المشروع في طور الانجاز

النهائي ، فلعلّي أظفر برأي نافع او فكرة اجهلها أو ملحوظة فاتني الالتفات إليها . وعقل الفرد ليس كعقل الجماعة ، عندما يتوفر فيهم شرط الجماعة الحق . .

اخيراً ، ورفعاً لأيّ التباس ، اود أن أضيف من الآن ان هذا الكتاب ، وما سيرتهن به من مشروعات المعجم الجديد ، لن يتسع ، على ما فيه من سعة ، لرأي اثنين : دعاة العامية ، والاكليروس اللغوي . ان علاقتنا مع كلا الطرفين تخرج من تخوم اللغة الى العمل السياسي . فالدعوة الى العامية ، على تفاهتها وضآلة شأن القائلين بها ، هي مشروع سياسي يعالج في ميدان الصراع بين معسكر حركة التحرر العربي والمعسكر الصهيوني - امبريالي . اما الاكليروس فيرفضنا ونرفضه دون مقدمات . ولعله مع ذلك أن يلجأ الى السياسة ليحكمها فينا ، ولا شك في انه سيجد الكثير من الأنصار بين الغيارى على نقاوة الدم واللغة والتراث ، من الذين تخصصوا في تمويل طائرات العدو بالنفط المكسور النون ، ومصارفه العديدة الجنسية بالأرصدة .

لكنه على اي حال مشروع للتجاوز وليس للمداهنة . وحكم السياسة ليس كحكم التاريخ .

بكين ١٩٨٣

هادي العلوي

مدخل

تتسع اللغة وتنكمش على قدر المعطى الحضاري - الاقتصادي - في مرحلة تاريخية معينة ، ولو انها لا تخضع لاحكام التطور الاجتماعي بالوتيرة التي تحدث للطبقات والمجتمعات ، تبعاً لقناعات اللسانيين المعاصرين . وبقدر الحاجة التي يملئها التطور في وقت ما تتكامل اللغة وتنضج من اجل ان توفر اداة التعبير عن مستلزمات الوقت . وبنفس المستوى يمكن القول ان المجتمع الذي يشهد هبوطاً في القوى المنتجة وتدهوراً لاحقاً في تكويناته الثقافية والحضارية لا بد أن يواجه ازمة لغة تتناسب مع حالة الركود التي يعانيها .

ان الحضارة تفرض حاجاتها اللغوية فتدفع باللغة الى الاتساع والنمو حتى تفي بهذه الحاجات ، وسقوط الحضارة يزوي معه لغة المجتمع ويحصرها في محدودات اولية تشكل في النهاية حالة ابتسار من الكيان الأوسع للغة .

ومن ابلغ اللواحق السلبية لهذا السقوط تقلص رقعة الكتابة وانكفاء قاموس اللغة الحي الى مفردات حياة يومية مقدرة بمحدودية وعي المجتمع وثقافته . ويمكن تصور الدرجة التقريبية لهذا الانكماش بمعرفة الفارق بين لغة المثقف ولغة الفرد العادي ، ذلك الفارق الملحوظ حتى في المجتمعات الراقية ثقافياً ، حيث تتفاوت حظوظ المعرفة وتتفاوت تبعاً لها نصيب الفرد من قاموس لغته المكتوب .

ان المثال الأشد وضوحاً لهذه الحالة هو ما آلت اليه اللغة العربية بعد سقوط حضارة الاسلام ؛ فمع الانحسار الذي امتد الى كل وجوه الحياة في المجتمع العربي تراجع قاموس اللغة الى عاميات اقليمية تتوزع كل منها

على لهجات محلية في غاية الفقر . اما المكتوب فاقصر على الأغراض الدينية ، التي لم تعد هي الأخرى تعبر عن نفس النشاط الديني الواسع والخصيب في عصور الحضارة . ولعلنا نستطيع تقدير مدى فقر اللغة المكتوبة في عصور الانحطاط اذا تذكرنا كيف اختفى النشاط العقلي الذي ازدهر في العصور الاسلامية حيث توقفت العلوم تماما ، وانزوت الفلسفة الى عمل شراح تعليميين ، وانتهى علم الكلام بعد اختفاء المعتزلة الى ميدان صغير تجول فيه خيل الخنابلة ، ولم يبق من التصوف الا الدروشة التي اهوت بالجنون اللغوي للمتصوفة الى شعوذات طقوسية بليدة . وقد اطل العصر الحديث والعربي يواجه حالة شبيهة بالانقراض اللغوي تفاقت لديه حين وجد نفسه على حين غرة امام الهجمة الحضارية القادمة من الغرب . ولم يكن لدى العربي قبل ذلك ادنى شعور بالمفارقة بين فقره اللغوي وحياته الاجتماعية ، فما كان لديه من «لغة» يكفيه لتمشية حياة تبدأ وتنتهي في قرية او ضاحية او بلدة في افضل الأحوال ، ولم تكن متطلبات هذه الحياة في حاجة الى اكثر من قاموس جيب يكفي شؤن الحياة اليومية الخالية من الابداع ويوفر للشعراء اداة للتعبير . لكن صدمة الحضارة فرضت على العربي مجابهة صعبة لم يكن قد استعد لها تمام الاستعداد .

لقد أدت هذه الصدمة بشعوب عديدة في القارات الخمسة الى الانصهار في لغات المتحضرين البيض ، الذين احتلوا بلدانهم فاستوطنوها او استعمروها . ومع ان هذا الانصهار مرتهن اساساً بمخططات الابداء التي نفذها المهجرون البيض فهو لم يكن ليأخذ مداه الفاجع لولا حالة الانقراض اللغوي التي كانت تمر بها تلك الشعوب . ومن الملاحظ ، عموماً ، ان اللغات البيضاء حققت انتصارها على اللهجات المحلية ، العاميات الغير مكتوبة ، في افريقيا والامريكيتين واستراليا ، وفي بعض نواحي آسيا ، لكنها لم تحقق مثل هذا القدر من السيادة ضد لغة حية مكتوبة . ان هذا ما يفسر صمود السواحلية والعربية والامهرية في افريقيا دون معظم اللغات الافريقية التي هي في جملتها لهجات قبائل محلية محدودة الابعاد بدائية الثقافة .

ان الصدمة التي فاجأت العربي مردها إلى انفصاله عن لغته المكتوبة . ولكن مع وجود هذه اللغة لديه - ولو محفوظة في القباطر - فقد كان بمقدوره الرد على التحدي بدرجة تكفي على الأقل لعدم الانصهار . وقد استطاعت العربية ان تصمد من خلال محاولات مبكرة قام بها ابناءؤها للوفاء بمطالب الحياة الجديدة . فالصمود ليس مسألة عناد بل هو رد واعى على التحدي يحقق مداه المطلوب بقدر ما يمتلك الصامد من مقومات البقاء .

وكان على العرب للخروج من مأزق اللغة ان يعودوا الى مدوناتهم - فظهرت حركة الاحياء اللغوي في غضون القرن التاسع عشر بوتيرة متقدمة انتهت باسترداد واسع النطاق شمل امهات كتب اللغة ومعاجمها المتعددة الاحجام والاختصاصات ، واقرنت في نفس الوقت بمشروعات طموحة للتأليف المعجمي تأوجت في محيط المحيط للبستاني . وقد ظهرت في وقت لاحق ، تحت تأثير الثورة البرجوازية المصرية التي قادها محمد علي باشا ، ولو في ظروف الاجهاض الخارجي لهذه الثورة ، حركة ثقافية ناشطة استوعبت افضل تقاليد الأدب العربي في عصوره الجاهلية والاسلامية ، ومضت تتطور على يد طه حسين وجيله من الاعلام فتعيد للكتابة العربية مركزها الذي فقدته بعد السقوط ، واخرجت الى الحياة مخزوناً لغوياً هائلاً بقي لعدة قرون مغموراً تحت غبار الانحطاط الثقافي .

ومع اشتداد ضغط الحضارة الحديثة على العالم العربي في العقود الأخيرة تبلورت مشكلة اخرى تفرض على اللغة العربية ان تتخطى نجاحها السابق الذي احرزته كلفة ثقافة الى التحقق في مضمار آخر تكون فيه لغة علم . ورغم ان النهضة العلمية لم تبدأ عندنا فان مسألة التعبير العلمي تتأكد بالحاج . وقد جاءت الاستجابات في البدء متلكئة ؛ لعدم ميسر الحاجة أولاً ، وللعقبات التي وضعها اللغويون ثانياً ، ولأن المعنيين بالأمر واجهوا فضلاً عن ذلك نقصاً في موروث اللغة العلمية ناشئاً من قلة ما تم

احياؤه من التراث العلمي ، حيث جرى التركيز في الاحياء على تراث
الادب والدين والانسانيات ، دون العلوم والصناعات ، مما افقدهم
اساساً ضرورياً لتكوين اللغة العلمية المنشودة .

لكن النشاط ما لبث ان دب في هذا المضمار متزامناً مع تجربة ناجحة
قامت بها سوريا لتدريس العلوم في جامعاتها بالعربية . وقد دفع هذا
القرار الطموح مفكري سوريا الى البحث عن وسائل لحل مشكلة
الاصطلاح العلمي . وأثمرت مساعي جيل كامل من السوريين حركة
رائدة في هذا الحقل المبكر تداخل فيها العمل المعجمي مع التطبيق الدراسي
الحي في الأقسام المختلفة للجامعات .

وطوال العقدين الأخيرين تكاثرت المعاجم المتخصصة واوشكت ان
تمتد الى كل فروع المعرفة العلمية الحديثة، وتباري فيها مؤلفون من سوريا
ومصر ولبنان لم يأتوا من اوساط اللغويين وانما هم في الغالب مختصون
اضافوا الى اختصاصهم العلمي معرفة وافية باللغة .

وفي وقت متأخر ظهر مكتب تنسيق التعريب في الرباط وأصدر مجلة
«اللسان العربي» التي عنت بالدراسات المعجمية وبالمصطلحات
واصدرت عدداً من المعاجم المتخصصة في شتى الفروع العلمية
والتكنولوجية . وقد تعرقلت اعمال المكتب فيما بعد بتأثير تدخلات
خارجية في بعض الجامعات والمؤسسات الثقافية التي لم يرق لها ظهور مثل
هذه المؤسسة . ويدل مصير هذا المكتب على صعوبة العمل العلمي التنزيه
في الأوضاع العربية الراهة .

من الأعمال التي تستحق التنويه هنا - الى جانب التجربة السورية
واعمال مكتب التعريب - معجم حتي الطبي للدكتور يوسف حتي
- لبنان - . وقد استوعب فيه المصطلحات الحديثة في الطب والتشريح .
وهو مرجع اساسي في هذا الباب ومؤلفه عالم له تجربة عريضة في الطب
واللغة تمتد الى نصف قرن .

ومعجم المصطلحات الفنية الصادر عن دائرة التدريب المهني للقوات المسلحة في القاهرة ١٩٦٢ . ويشتمل على جملة وافرة من المصطلحات في بعض فروع العلم والتكنولوجيا ، وإن يكن مفتقراً الى الشمول . وقد تضافرت على اصداره زمرة من المختصين الكبار في المجالات التي تناولها .

والمعجم العسكري الصادر في دمشق ١٩٦١ محتوياً على ٢٥ ألف مصطلح في الشؤون العسكرية علماً وفناً .

والموسوعة في علوم الطبيعة ، للمهندس ادورد غالب ، صدرت عام ١٩٦٦ واشتملت على قرابة ٢٥ ألف مصطلح في علمي الحيوان والنبات مع ما يتعلق بهما في الفلك والتشريح والمناخ والطوبوغرافيا . الخ وهي عمل متميز يكاد يستوفي مخزون اللغة بقطاعيه الفصيح وبعض العامي في هذه الحقول . ومما يميز الموسوعة انها معجم عديد اللغات فقد احتوى على المقابل العربي لمفردات ثلاثة قواميس كبرى هي اللاتينية والانكليزية والفرنسية ، بالإضافة الى متفرقات من الالمانية والايطالية . وقد اظهر ادورد غالب بهذا العمل قدرته على استيعاب هذا المخزون المودع معظمه في المعاجم الكلاسيكية والمتفرق بعضه على السنة الناس ، واستخدامه بقدر مشهود من الابداع والاتقان . واستطيع القول ان موسوعة ادورد غالب قد أغنت عما سواها ولن يعوزها في الواقع غير طبعات جديدة اكثر توسعاً يستكمل بها القوات من الشوارد التي خلت منها الطبعة الحالية .

و«المعجم الزولوجي الحديث» كتاب من ثماني مجلدات مكرسة لعلم الحيوان اصدره الشيخ كاظم الملكي ، من رجال الدين في مدينة النجف - الحاضرة الشيعية المعروفة - واستقصى فيه اسماء الحيوانات في العالم بأصلها العربي ومقابلها العلمي ، مع نبذة عن كل حيوان وما ورد عنه في التراث الاسلامي . لكن المعجم لم يكتب له الرواج ، شأن اي كتاب يصدر في العراق لا سيما من عالم متجرد اضطر الى بيع مسكنه لتمويل طبع الكتاب .

ويروق لي التنويه اخيراً بجهود عالم آخر من نفس المدينة هو الدكتور صادق الهلالي استاذ الفيزيولوجي السابق في جامعة بغداد ، الذي اخرج منذ بعض السنين مجلدين كبيرين استوفى بهما أدق واحداث معطيات فلسفة الجهاز العصبي - المركزي والمحيطي - بلغة علمية سليمة ومصطلحات دقيقة استمد بعضها من المعاجم المتداولة ومفردات مجامع اللغة وعدل بعضها لتلائم اغراضه ، بينما ارتحل جملة اخرى منها بنفسه مستأنساً بخبرته الوافرة في هذا العلم ، وتمكنه من اللغة التي وجدت لها في النجف واحدة من واحات استجياها القليلة في الصحراء العثمانية . وقد اردف هذا الانجاز بالشروع في تأليف معجم للعلوم الدقيقة كان قد قطع فيه شوطاً قبل ان يتعرض لمحنة مرتبة اقعدته عن المواصلة . وقد تركته مشلول الارادة عاجزاً عن عمل اراد به وجه العلم وحده . . .

ان ما لم اذكره من المعاجم يزيد على ما ذكرته وانما توخيت التمثيل دون الحصر . ويمكن القول ان المكتبة العربية الحديثة قد بدأت تناهز في هذا المضمار سابقتها الاسلامية ونظيرتها الغربية ، على عيوب في العمل المعجمي سنحاول رصداه في هذا الكتاب .

يحسن بي ان اضيف الى ما سبق ، سيل الترجمات والمؤلفات التي تصدر باستمرار عن اشخاص وهيئات ودول تسعى لتعميم الثقافة العلمية وتستخدم او تستحدث في اثناء ذلك مصطلحات واساليب تساهم في اثراء واستكمال لغة البحث العلمي . وانه في هذا الخصوص بالكتب العلمية التي تصدر عن دار التقدم ودار مير في الاتحاد السوفيتي . وقد اشارت الدكتور بنت الشاطيء الى هذه البادرة السوفيتية بدهشة كبيرة فكتبت في «اللسان العربي» تثير الانتباه الى الكفاءة العالية التي كتبت بها مؤلفات متعددة في الفيزياء والكيمياء والميكانيك والذرة وغيرها والتي تعطي بحد ذاتها برهاناً على الآفاق الواسعة التي يمكن للتعبير العلمي العربي ان يتوغل فيها . ولا يفوتنا هذه المناسبة ان نذكر القارئ بأن للعربية في الاتحاد السوفيتي تاريخاً مديداً يرتهن في بعض جوانبه بالرقعة الاسلامية الواسعة

التي يتألف منها هذا البلد في قطاع الآسيوي بما يجعله من هذه الناحية جزءاً جغرافياً من تراث العرب الاسلامي . فالاتحاد السوفيتي يضم الآن على موطن ابن سينا والفارابي والبيروني والبخاري والزخشري وغيرهم من بناء الحضارة الاسلامية ويعتبرهم ، كما نعتبرهم ، نحن من مقومات ثقافته الوطنية العديدة القوميات^(١) .

هذه الحركة الصاعدة اوصلت العربية الحديثة إلى نصاب جديد تخطت فيه حالة الانقراض اللغوي الذي كاد يهدد اللغة بقطاعيها المحكي والمكتوب ، واستقرت على حال من النبض يضمن لها امكانات تطور يساير المستجدات المتسارعة في عالم اليوم .

ومن المتفق عليه مع ذلك ان هناك شيئاً من الخلل لم نتداركه حتى الآن تحت تأثير الظروف التاريخية المفروضة علينا ، وينبغي علينا تداركه بعد أن شارفنا مخاض نهوض حضاري قد يطول ولكنه قادم بلا ريب . وينبغي البدء في معالجة هذا الخلل من حيث انتهت اليه الجهود والانجازات التي تحققت حتى الآن . وانا لذلك لا ادعي الاتيان بابتكار جديد لم يسبقني اليه احد . وانما اريد اضافة لبنة الى صرح شاده من هم افضل مني علماً وأطول باعاً، ولئن يكن هنا من يحق لي نقدهم فهم اللغويون الذين قادوا المسيرة العرجاء للغة في انقطاع فاجع عن الماضي والمستقبل . ولا بد

(١) تأتي هذه الحقائق متعارضة مع مشروع قامت به بعض الفئات المندسة على الثقافة السوفيتية وتضمن اصدار قويميس للعامية السورية مع مقابله الروسي اراده مصدره ان يكون بديلاً عن الفصحى لا مكملها ، وقد احتوى القويميس على ١٢ الف مفردة اريد لها ان تحل محل عشرات الألوف من مفردات القاموس الفصحح البالغ الثراء ، وفي وقت وصل فيه قاموس اللغة الانكليزية الى نصف مليون . ان الهدف من هذا المشروع لا يمكن ان يتعدى تكريس حالة الانقراض اللغوي عند العرب وايقاف مد الثقافة العلمية في البلدان العربية وارجاعها الى حقب الظلام العثماني . لا شك في انه مسعى نشاز ولا شك في ان مؤسسات الثقافة السوفيتية ستلقي به في مزابل الورق بعد ان وصلت في تعاملها مع العربية العلمية الى هذا المفضل البعيد .

لي هنا من الاصحاح بحقيقة هامة تسبق خوضنا في المشكلات اللغوية الا وهي ان اللغة - اية لغة - ليست مشكلة ادبية . ان هذا الفهم الخاطيء قد تفشى فينا اليوم وساعد في ابعاد اللغة عندنا عن مضمارها الأصلي وهو كونها أداة استذهان ، بعد ان تسلمها الأدباء وصارت من ممتلكاتهم الخاصة . ان الأدب هو واحد مضامير اللغة ، ولعله المضمار الأقل اهمية بالقياس الى مناحي الحياة الشديدة التنوع والتعقيد . وافق اللغة في منحائها الأدبي محدود لأنها تجول هنا في حلبة مهما اتسعت فهي متناهية ويمكن لأي قويميس ان يفي بأغراضها . ولعلنا نجد ها هنا تعليلاً لاستمرار الشعر والقصة في حقب الانحطاط العثماني مع توقف الكتابة العلمية والفلسفية . ولعلنا نجد فيه ايضاً بعض دواعي الطمأنينة التي يتصرف بها اللغويون تجاه معضلات اللغة ، فاللغويون - وهم ادباء - لم يشعروا يوماً ما بالجوّ اللغوي لأن حاجات التعبير الأدبي ملبأة في معاجهم على الدوام . يجب اخراج اللغة من دائرة الأدب والنظر اليها كأداة استذهان تخص المفكرين والعلماء اكثر مما تخص اهل الأدب ، فهي الشأن الأكثر التساقاً بقضايا الفكر ، ومهمة تقع على كواهل المفكرين والعلماء في المقام الأول .

يمكن رؤية المشكلات الأساس في التعبير اللغوي الراهن على النحو التالي :

- العلاقة بين العامية والفصحى . مسألة الهوة بين اللهجتين المنطوقة والمكتوبة ، وما يوجب ذلك من العمل على تقليص الفجوة بتبسيط المكتوب وتقصيح المنطوق .

- اشكاليات لغة العلم . مازق الاصطلاح .

- الفقر اللغوي في مواجهة حاجات العصر المتنامية . وبالمقارنة مع قاموس اللغات الحديثة .

- ازمة المعاجم ، البحث عن معجم عربي جديد يليي التطور في حقلي اللغة العامة ولغة العلم .

ونأمل أن نتوصل عبر معالجتنا لهذه المشكلات الى بعض الحلول المنشودة .

علاقات المنطوق والمكتوب واصولها التاريخية

مقدمة للوصول الى تكامل لغوي

إن الفجوة بين العامي (المنطوق) والفصح (المكتوب) في العربية الحديثة هي من الحقائق التي لا يختلف عليها أحد . ومع أن انقسام اللغة الى عامي وفصح هو سمة مشتركة بين اللغات ، فإن هذا الانقسام اظهر في اللغة العربية منه في الكثير من اللغات المعاصرة . ورغم ذلك فهو يبقى انقساماً في اللغة الواحدة بحيث لا يتعدى الفرق بين العامي والفصح مستوى الفرق المعتاد بين لهجتين متباعدتين ، من قبيل ما نعرفه عن اللغة الصينية ذات اللهجات الشديدة التفاوت عن بعضها وعن لهجتها الفصحى - البوتونخوا - في آن واحد . وتتضح حدود هذا الفارق في التجليل الاخير عند حساب الوقت الذي يستغرقه الفرد العربي على اختلاف لهجته في تعلم القراءة والكتابة ، لاننا نجد أن هذا الوقت لا يزيد على مثيله في اللغات الاقل انقساماً ، كما انه يقل بما لا يقاس عن الوقت الذي يستغرقه تعلم الفرد العربي للقراءة والكتابة في لغة اجنبية غير منطوقة لديه .

على ان طالب اللغة العربية يتميز بما يخسره من وقت وجهد في تعلم شيء آخر على هامش القراءة والكتابة هو «علم النحو» الذي يتعذر ضبطه لغير القلة من المتخصصين . وترتكس هذه المشكلة ، فضلاً عن خسارة الوقت والجهد ، في صعوبة اتقان لغة التلاوة - الالقاء . وهي لا تتعلق بالفجوة بين اللهجتين المنطوقة والمكتوبة لان العرب كانوا يخطئون في الكلام والالقاء منذ العصور الاولى حين لم تكن هذه الفجوة قائمة فيهم .

على ان شطراً وافياً من الفوارق بين العامية والفصحى هو من عمل الصناعة وليس الطبع ، ويمكن القول انها لم تكن لتظهر بهذا القدر من الاتساع لولا الجموح الارستقراطي الذي ساق الكتاب واللغويين الى اصطناع الحواجز عن لغة الكلام وتسييج الكلام ولغة الكتابة بأصول وتحريمات مبالغ فيها . قبل حوالي المئة عام ، تقدم الشاعر المصري حفني ناصف بدراسة الى مؤتمر للمستشرقين في فينا أثار فيها مسألة بكرة في الدراسات اللهجوية الحديثة حين كشف لأول مرة ان العاميات العربية

المعاصرة هي استمرار تاريخي للهجات القبائل العربية القديمة . وبهذه الحقيقة التي اعلنها حفني ناصف في مثل ذلك الوقت المبكر كان مقدراً ان يفتح باب جديد للتعامل مع العامية بوصفها ركناً اساسياً في اللغة العربية وليس مجرد مروق لغوي محكوم عليه بالحرمان .

لكن مبادرة هذا الشاعر العليم لم تجد لها صدى طوال أكثر من نصف قرن ، حتى كان عام ١٩٤٦ ونشر الدكتور ابراهيم انيس كتابه «في اللهجات العربية» الذي تناول فيه المسألة من جديد موسعاً ما اوجزه حفني ناصف ومنتهاً الى كشف المزيد من اسرار العامية والمزيد من اواصرها مع الفصحى . وبهذا الكتاب القيم الذي اعيد طبعه حتى الآن خمس مرات ، يضع العالم المصري بأيدينا وثيقة كافية لدعم اي مجهود اصلاحي يتوخى معالجة الهوة القائمة بين المنطوق والمكتوب في لغتنا .

وفي وقت لاحق ، ظهر للكاتب المصري الكبير محمود تيمور كتاب هام مشى فيه على سنة حفني ناصف و ابراهيم انيس ودعا فيه الى ازالة الجفوة بين اللهجتين مستشرفاً من خلال ذلك آفاق لغة موسعة تقوم عليها لغة الكتابة وتعيش في جوها الصحي لغة الكلام .

سأجل فيما يلي اهم الفروق التي تتميز بها العاميات عن الفصحى ثم انتقل الى تأصيلها في لهجات القبائل ولغة الكتابة مستأنساً بنتائج بحوث حفني ناصف و ابراهيم انيس ومحمود تيمور ، وما تجمع عندي من تتبعاتي الشخصية . ومع اني لا ارفض البدعة فإن ما اقوم به هنا ليس الا استمراراً لما قام به هؤلاء الرواد الكرام . . .

١ - زوال الاعراب في العاميات وبقاؤه في الفصحى .

٢ - الابدال عن الفصحى . ويشمل :

- لفظ القاف كافا على غرار حرف G في اغلب المفردات في لهجات وسط وجنوب العراق والخليج والجزيرة والسودان وصعيد مصر ومعظم اريافها .

- لفظ القاف همزة في عامية بعض المدن في سوريا ومصر

- لفظ الجيم كافاً على غرار حرف G في لهجة القاهرة وبعض لهجات اليمن .

- تحويل الكاف في بعض المفردات الى جيم ثلاثية (حرف CH الانكليزي) في لهجات وسط وجنوب العراق والخليج ومديرية الشرقية بمصر ومدينة جيجل في الجزائر .

- ابدال الهمزة عيناً في بعض لهجات الريف العراقي وبوادي مصر .
وابدال القاف عيناً وبالعكس في لهجات متفرقة في العراق واليمن والسودان .

- وجود حرف الپاء (P) في بعض المفردات في عامية المدن العراقية .
٣ - تحويل بعض المفردات بالقلب او الابدال او الترخيم . او بتغيير حركاتها او بنائها التفعيلي .

٤ - التوسع في اوزان فصيحة لم يتوسع فيها الكتاب . والعكس بالعكس .

٥ - استحداث تعابير اصطلاحية باختزال او ادغام عبارات فصيحة .

٦ - الامالة في الالف والواو والياء وامالة ما قبل تاء التأنيث .

٧ - ابدال ال التعريف ميماً في بعض المفردات ببعض اللهجات .

٨ - توليد معاني جديدة لمفردات قديمة .

٩ - احتواء العاميات على مفردات لا وجود لها في القاموس معظمها من الدخيل واقلها من بقايا اللغات المحلية الغابرة^(١) .

(١) سيتم تأثيل جملة هذه الأمور دون التزام بتسلسلها . وسنعالج بعضاً منها في مفاصل لاحقة تبعاً لطبيعة كل حالة . واود تذكير القارئ هنا ان المعطيات المتعلقة باللهجات المعاصرة لن تتسم بالشمول المنشود في مثل هذه المباحث لأن معلوماتي عن هذه اللهجات غير كاملة وما سأثبته في هذه الفصول محدود باستقصاءاتي الشخصية الى جانب القليل من المصادر المتوفرة في هذا الحقل الذي لا يزال بكرّاً .

الحروف

إن أكثر الامور اهمية في هذا الصدد هو الحروف «الغير فصيحة» وهي : الپاء (P) والكاف (G) والجيم المثلثة (CH) . أما الابدالات الاخرى فتجري في نطاق الحروف «الفصيحة» نفسها . وسنفرد للحروف الثلاثة مفصلاً نشرحها فيه . ونكتفي هنا بتأثيل مجمل لها فنقول ان ابدال القاف كافا عرف في لغة حمير وبقي في عربية اليمن اللاحقة . كما وجد في لهجة تميم . وهو اليوم في وسط وجنوب العراق حيث استقرت بطون من اليمن وتميم ، وفي الخليج وانحاء من المغرب العربي . والجيم الملفوظة كافاً في القاهرة واليمن نص عليها القدماء في مباحث الابدال واثاروا الى شيوعها في لهجات اليمن . وضربوا لها من الامثلة : سيهوك من سيهوج ويرتكك من يرتج^(١) . وابدال الكاف جيماً مثثة (CH) وهو المعروف عند اللغويين بالكشكشة وقد اورد عليه الخليل هذا الشاهد^(٢) :

تضحك مني أن رأتنِي أحترش
ولو حرشتِ لكشفت عن حرش
اي : حرك .

وذكر الزمخشري هذا الحرف وسماه الكاف التي كالجيم كما سيأتي بيانه . وكانت الكشكشة في ربيعة كما يقول الخليل وغيره ولذا اقترنت

(١) السيوطي - «المزهر في اللغة» . القاهرة ، ج ١/ ٢٢٢ - ٢٢٣ ، ٤٦٥ -
السيهوج : ربح شديدة .

(٢) العين . تى : مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي . بغداد ١٩٨٠ وما في هذا البيت شئنة لا كشكشة . وسيأتي الفرق بينهما ج ١/ ٩١ .

باسمها . واضاف بعضهم مضر . وقد حققها الاستاذ ابراهيم انيس
وتوصل الى انها الجيم المثلثة (١) ، الشائعة حالياً في عامية وسط وجنوب
العراق والخليج ومديرية الشرقية في مصر ومدينة جيجل في الجزائر .

ويبدو ان اهل الكشكشة كانوا يحولون اليها النصوص الأخرى
المكتوبة بغير لهجتهم عند قراءتها . وقد اورد الثعالبي في فقه اللغة هذه
القراءة للآية :

قد جعل ربش تحش سرياً

وهي اذا اردنا كتابتها كما تلفظ :

قد جعل ربج تحجج سرياً

وتكون من هذا القبيل قراءة لبنت مجنون بني عامر - مجنون ليل -

فعيناج عينها وجيدج جيدها

ولكن عظم الساق منجج دقيق

وليس للكشكشة علاقة بشنشنة اليمن ، خلافا لوهم العلامة
أنيس ، فالنششنة هي تحويل الكاف شيئاً خالصة وهي لا تزال في لهجة
اليمن المعاصرة . كما في هذه الأغنية اليمنية الحديثة :

لا تكثري اللوم

لو قلبي عlish قبقب

طعمش مثيل الرطب

والعرف روتي وتونه (٢)

(١) في اللهجات العربية ١٢١ - ١٢٥ .

(٢) العرف : بفتح العين ، العبير (فصيحة) روتي (هندية) صنف من الخبز .
التونة : سمك معروف .

وقد ذكر القدماء كلاً من الكشكشة والشنشنة ونسبوهما لأطراف متمايزة مما يعني انهم ميزوا بين لفظ الجيم المثلثة والشين غير انهم لم يستطيعوا تمييزهما في الكتابة لانعدام رمز الكشكشة في الأبجدية العربية .

يمكن ان نفهم سبب وجود هذا الحرف في وسط وجنوب العراق والخليج حيننا نعرف ان ربيعة ، وهي كما قالوا عنها شعب عظيم ، كانت تنزل في شمال شرق الجزيرة العربية على امتداد الأقليم الذي يضم الساحل العربي للخليج وجنوب العراق . [ينتشر اليوم قسم كبير منها في محافظة الكوت ، حوالي ١٧٠ كيلومتر جنوب بغداد] . وهو السبب ايضاً في ان الكشكشة تنعدم في شمال العراق^(١) ، بينما نجدها اوسع انتشاراً في لهجة الجنوب بالمقارنة مع لهجة الوسط لا سيما لهجة بغداد التي تكثر فيها الكاف الى جانب الجيم المثلثة . اما وجود الكشكشة في المديرية الشرقية بمصر وجيجل في الجزائر ، وربما في غيرهما ، فيرجع بالطبع الى هجرة جماعات من ربيعة أو مضر ، الى تلك المواضع .

الباء : يسميها اللغويون القدماء الحرف الذي بين الباء والفاء وقد نسبت الى بني عقيل وهي حالياً نادرة ، لأنها نادرة قديماً ايضاً . ويكاد المنطوق منها في عامية الوسط العراقي يقتصر على الألفاظ الدخيلة .

الامالة : نص عليها الخليل في العين وقال انها تعم الالف والواو والياء^(٢) واستقصاها الاستاذ ابراهيم انيس من شتى وجوها . وقد ذكر ابن قتيبة وقوعها في : «متى» و«بلى» وقال ان الامالة فيها افصح وهو سبب

(١) حيثما سird «شمال العراق» في هذا الكتاب فالمقصود به شماله حسب حدوده الجغرافية الأصلية التي تضم سكانه العرب .

(٢) العين ١٠١/١ .

كتابتها بالألف المقصورة^(١). وهذا هو لفظهما في العاميات المعاصرة . وتنطق متى في ارياف العراق جيم مكسورة (لعلها لهجة على غرار إلى) مع الامالة . ونجدها في هذا الحذاء الشيعي :

يا مِتّى يظهر الغايب يا مِتّى

اما بلى فتلفظ حالياً إمالة احياناً وبالياء احياناً . وقد وجدت الاسبان ينطقونها بالياء ، فلعلها كانت كذلك في عامية الاندلس .

ومن امثلة الامالة بالواو كلمة : بور للأرض الياب ، تلفظ واوها على غرار حرف (O) الانكليزي وهكذا في سائر المفردات التي يتوسطها واو مسبوق بفتحة . اما الامالة بالياء فمنها : بيضة تلفظ في عامية العراق والخليج بازالة السكون من الياء ومدها مفتوحة . . ويشيع في لهجة لبنان إمالة ما قبل تاء التانيث كقولهم : لبناني بدل لبنانية ، طفولي بدل طفولة . وقد رويت عن الكسائي الذي قال حين سئل عنها : هذا طباع العرب^(٢). ويُميل اللبنانيون أيضاً الألف في غير المقصور كما في : عماد وساعة ، ويصل بعضهم بالأخيرة الى الامالة حتى تلامس الياء . وهي الأخرى نطق قديم ذكره الزمخشري . واورد عليه مثال عماد^(٣) .

الاختزال

وهو حاجة اساسية في لغة الكلام لأي شعب : وقد وجد عند قدماء العرب . ومن امثلته .

(١) ادب الكاتب - تح . محي الدين عبد الحميد ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٨ ص ٢٠٦ . يزودنا ابن قتيبة هنا بمفتاح لفهم الفرق بين المقصود والممدود في الكتابة اذ يبدو أنه يرجع الى الفرق في التلفظ . وقد قرئت المقصورات في القرآن بالامالة بوصفها احدى القراءات الصحيحة .

(٢) ١ . أنيس ص ١٠١ . انظر ايضاً كتابه : «الأصوات اللغوية» القاهرة ط ٤ ١٩٧١

ص ٣٩ / ٤٠

(٣) الفصل ٣٣٦ .

مشا الله : اختزال ما شاء الله . ونسب الى اهل الشحر وعمان
والملاحظ فيه اقتطاع ما الى ميم مفتوحة دون مد . ويكثر حالياً في ما
النافية .

ايش : اختزال أي شيء . وهو شائع قديماً في مختلف اللهجات .
ومن الاختزال الحديث :

انشا الله : اختزال «ان شاء الله» . وقد اعيد اختزاله في الاسبانية
الى (OJALA) (اوخالاً) بحذف النون وإبدال الشين خاء لانعدامها في
الاسبانية . ونجد في هذا الاختزال الاسباني دليلاً على امكان اختزال
العبارة العربية في مفردة واحدة كما سنبين في باب النحت .

معليش : اختزال «ما عليه شيء» . اي لا بأس به .

ها الساعة : من «هذه الساعة» . ويضم هذا الاختزال في العاميات
كل اسماء الاشارة عند اتصالها باسم معرف بال .
لسه : اختزال : «للساعة» اي للآن .

الادغام

الادغام قريب من الاختزال ومتكامل معه . ومن امثله قديماً ادغام
بني مع المضاف اليها . ومنه : بلهجوم وبلعنبر من : بني الهجوم وبني
العنبر . وهي اليوم في عامية المغرب العربي . ومنها : بلقاسم اي بني
القاسم . ومن شواهد الادغام في الشعر :

تقول اذا اهلكت مالاً للذة
فُكيهة هشيء بكفيك لائق

اي : هل بشيء

وقول الفرزدق :

هَلَّتْمْ عَائِجُونَ بِنَا لَعَنَّا نَرَى الْعُرْصَاتِ أَوْ أَثَرِ الْخِيَامِ

أي : هل انتم . ولعلنا . وعلى غرار هذا في عامية سوريا : عنا
اي عندنا . وفي هذا البيت ، وقد أورده النوري محمد بن القاسم في الالم
(وهو غير النويري صاحب نهاية الارب) :

يا قسمة قسمت ولم اعلم بها
وقضية ثبتت فلمر الأول

واصلها : في الأمر .

ومن الادغام الحديث :

ليش ، من : لأي شيء .

ما فيش ، من : ما فيه شيء .

ماكو : من : ما يكون .

تشديد الثنائي

تميل العاميات المعاصرة الى تشديد الثنائية عند اتصالها باسم او
ضمير ، مثل : فم ، دم ، أب ، يد . . . وتشديد هو وهي على
علائها . وهذه التشديدات فصيحة كلها . وقد نصت عليها المعاجم
القديمة . ويجرى على غرارها تشديد هم ايضاً .

كسر اول المضارع

يسميه اللغويون التلتلة وينسبونه في الغالب الى قبيلة بهراء . وقد
حققه العلامة ابراهيم انيس فتوصل الى انه عام في لهجات القبائل لكل
مضارع لا يبدأ بالياء - يقصد صيغة المذكر الغائب . اما بهراء فتكسره مع
الياء كذلك^(١) . ويبدو أن هذا الشمول عند بهراء هو ما ادى الى تخصيص
التلتلة بها .

(١) المزهر ٢ / ٩٠

والكسر اليوم شائع في سوريا والعراق والمدن المصرية . وهو في سوريا اشمل ، اي انه بهرائي خالص - مع ملاحظة ان بهراء كانت تقيم في اقصى شمال الجزيرة في البقاع الممتدة بين العراق وبلاد الشام - اما في العراق فيفتحونه في صيغة المتكلم ويكسرونه فيما عداها .

كسر الفاء من فعيل

نقل السيوطي عن ابن خالَوَيْه^(١) : كل اسم على فعيل ثانيه حرف حلق يجوز فيه اتباع العين . نحو : بعير ، شعير ، رغيف ، رحيم . وعن الأصمعي ان شيخاً من الأعراب سأل الناس فقال : ارحموا شيخاً ضِعِيفاً

والكسر نجده اليوم في عامية العراق والخليج ، وهو في الخليج ! وجنوب العراق اشمل منه في وسط العراق وشماله . ولا يراعى في الكسر القيد الذي افترضه اللغويون لأنه عام في حروف الحلق وغيرها . وقد اعتبره الاستاذ ابراهيم انيس شكلاً من الانسجام بين الحركات وخطأ اللغويين القدماء في اشتراطهم هذا القيد^(٢) .

ابدال الهمزة عيناً

تسمى عنعنة قيس وتميم . ويقصرها بعض اللغويين على الهمزة المبدوء بها كقولهم : عنت بدل انت . وهي الآن في الخليج وبعض لهجات الجنوب العراقي والمصري وتهامة في اليمن ، وغالباً ما تكون في الهمزة الوسطية او الأخيرة . يقال سعال في سؤال . يسعل في يسأل . ويقول العراقيون غالباً لع في لا ، التي تهمزها تميم فيهمزها المصريون ويضعفها العراقيون .

(١) المزهر ٢/ ٩٠

(٢) في اللهجات ... ص ٩٨ .

اببدال الذال دالاً

في العامية المصرية ، وفي حالات من السوروية . ومنه قول المصريين : ذهب بدل ذهب ، جدد بدل جدد للغلام . وقد ورد هذا الابدال في اللهجات القديمة ، ومثاله : دكر بدل ذكر ، عدوفه بدل عذوفة عند ربيعة^(١) . وله امثلة في عامية الاندلس كقولهم^(٢) : متدعدع - متهدم - واصله متزعزع . وثمة ابدال عامة لا تختص بلهجة منها : جدد من جدد . ويقول الفيروز آبادي ان الدكر ابدلت من الذكر لدخول ال التعريف عليها فجعلت الذال دالاً مشددة .

اببدال الواو ياء

غالباً ما تميل العامة الى جعل الواو ياء في افعال الماضي المعتلة مثل : دعوت وشكوت فيقولون دعيت وشكيت . . . وهو مسموح من القدماء وقد نظم فيه ابن مالك قصيدة جمع فيها الأفعال التي تقال بالواو والياء معا^(٣) . وتلحق بهذا ظاهرة المعاقبة الحجازية التي يبدل فيها الواو ياء في الجموع التي على وزن فعّال مثل صوام ، نوام ، صواغ قواد ، فيقال : صيام ، نيام ، صياغ ، قياد . . . وهذا الابدال شائع اليوم في بعض العاميات .

تخفيف الهمزة أو حذفها أو ابدالها

معظم اللهجات الحديثة لا تلفظ الهمزة في مفردات ، او تبدلها في مفردات اخرى ياء او تمدها . فالهمزة الوسطية تم في العادة إلى حركة الحرف الذي يسبقها فيقال في رأس ، شؤم ، بئر ، يأكل :

(١) في اللهجات ص ١٠١ ، ١٨٦ ، ٢٦٩ .

(٢) لحن العامة للزبيدي ، تح . عبد العزيز مطر ، القاهرة ١٩٨١ ص ١٢٥

(٣) محمود تيمور . ص ١٧٣ .

راس ، شوم ، بير ، ياكل . ويبقى الابدال هنا في حالة الجمع كما
في روس وايار - أو بيار - جمع رأس وبشر . وقد ورد هذا الجمع في
النصوص القديمة ومنه هذا البيت الذي رواه ابن عبد البر القرطبي في
«جامع بيان العلم وفضله» لعروة بن الزبير :

صار الأسافل بعد الذل أسمةً
وصارت السروس بعد العز اذئابا

واورد الزمخشري في المفصل من امثلة الحذف : بو ، ومير في ابو وأمير .
ومن امثلة التخفيف قديماً : خطية بدل خطيئة والدنية بدل الدنيئة والنبي
بدل النبيء .

ومن الحذف في القراءات :

مستهزون ، متكين ، يطون . بدل : مستهزون ، متكثون ،
يطاون ...

وورد قديماً يحون بدل : يحيثون ، ويحي بدل يحيء .

وحذف القرآن الهمزة الأخيرة في بعض الأسماء الثلاثية وابدلها حرفاً
من جنس حركة اولها فقال : اتخذنا هزواً بدل هزءاً و : لم يكن له كفواً
احد بدل كفثاً ... وفي عامة العراق : وسوريا : جزو بدل
جزء ..

اما تحويل الهمزة الى ياء فنجده في : بدينا بدل بدأنا وهو لهجة اهل
يثرب . وكذلك فيما هو على وزن فاعل وفعائل مثل : سائل وفضائل .
وقد شاعت هذه الصيغة في لغة الكتاب في العصور الاسلامية وما بعدها .

ان حالات الحذف والتخفيف والتحويل التي مثلنا لها هنا موجودة
كلها في العاميات المعاصرة . وقد تابعت فيها العاميات لهجة قريش التي
كانت تتحاشى الهمزة . وهي في الأمور التي خالف فيها القرآن لهجة قريش

لأنه اخذ بالهمز في غالب المفردات جرياً على اللغة الأدبية في زمانه ؛ حيث اعتبر الهمز من صفات الفصاحة كما يقول العلامة ابراهيم انيس^(١)

اببدال الـثاء تاء

يكثر في عامية مصر وسوريا حيث يقال : ثلاثة ، تامر ، ثاني ، في : ثلاثة ، ثامر ، وثاني . . . ولا يشمل كل ثاء ففي ثقافة أو مثقف مثلاً تبقى الـثاء كما هي أو تلفظ قريبة من السين .

هذا الابدال قال به الأصمعي واستشهد عليه بيت ليهود من خيبر :

ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث

وقال ان الخبيث لغة في الخبيث وهي لغة خيبر . وانكر الخليل ان تكون هذه لغتهم لأنها لو كانت كذلك لقال : الكثير . ورجح انهم يقلبون الـثاء تاء في بعض الحروف . وقد ايده ابراهيم انيس لأن قبيلة خيبر متأثرة بالبيئة الحجازية فلا يتوقع ان يروى عن لهجاتها قلب الصوت الرخو الى نظيره الشديد^(٢) . بقصد البيئة الحضرية التي تميل دائماً الى الأصوات الرخوة وهي بيئة الحجاز . ومن المستبعد في الحقيقة ان يكون هذا الابدال في عامية مصر على الأقل موروثاً من قبيلة خيبر التي لم يعرف لها مهجر في مصر . لكن وجوده على اية حال في لهجتين كبيرتين معاصرتين دليل على وجوده سابقاً . وقد ورد الخبيث في القاموس المحيط بمعنى الخبيث مما يدل على تصويب الفيروز آبادي لرواية الأصمعي .

(١) انظر : في اللهجات . . ص ٧٧ - ٧٨ .

وتمسك القرآن بالهمز يرجع عنده الى التزامه بهذه اللغة التي كانت قد اكتملت في ذلك الوقت وصارت لغة الفصاحة المشتركة للجميع على اختلاف اللهجات . ويمكن تفسيره ايضاً بطبيعة لغة الصراخ التي ميزت القرآن . والهمز من مقومات هذه اللغة . حول مخالفات القرآن للهجة قریش انظر : الاتقان للسيوطي ص ١٣٥ .

(٢) في اللهجات . . ص ١٠٢ .

اببدال العين الساكنة نوناً

ويسمى الاستنطاء وكان في لهجة هذيل والأزد وقيس واهل يشرب
وسعد بن بكر . ومنه قولهم ينطوي بدل يعطي . وقد قرأوا آية الكوثر على
هذا النحو :

إننا أنطيناك الكوثر

ويوجد هذا الابدال في عامية وسط وجنوب العراق .

الابدال بين الباء و الميم

كثير في الفصح ومنه الساسم والساسب : تنويعاً من الشجر ،
لازب ولازم ، كذب وكثم (قرب) ، غيهب وغيهم (الظلمة) ، يَشْب
ويشم (حجر كريم) .

ومنه في عامية مصر : يتمختر من يتبختر ، بتاع من متاع والأخير
مشترك مع لهجة المغرب ولغة مالطا . ويحلق من يحملق وهي مشتركة مع
معظم العاميات ، وقد وردت في نص للوهرائي (القرن السادس) .

اببدال الجيم ياء

أورد السيوطي عن شرح التسهيل هذا البيت^(١) :

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى فابعدكن الله من شيرات
أي شجيرات . وقد وردت قراءة مماثلة للآية :
«ولا تقربا هذه الشيرة» .

وهذا الابدال في عامية جنوب العراق والخليج . يقولون : عيوز
للعجوز ، ياهل للجاهل ، يابر لجابر . . . الخ ونجد ابدالاً معاكساً من
الياء الى الجيم في بعض لهجات الجنوب العراقي ، يحضرني من امثلته :

(١) الزهر : ٤٧٥/١ .

جهود بدل يهود . ويعرف هذا الابدال قديماً بالعجعة وقد نسب الى قضاة ، لكن العلامة ابراهيم انيس يرجح انه امر مشترك بين البدو من ابناء القبائل^(١) .

ومن الجدير بالذكر ان هذا الابدال موجود في بعض اللغات الأوروبية . ومن آثاره كتابة بعض الأسماء بالحرف J ولفظها بالياء كما في : «يوغسلافيا» ويقع الابدال في ضمير المتكلم المفرد في كل من الفرنسية والاسبانية فهو في الأولى : جو وفي الثانية يو . وسمعت بعض الأسبان يلفظونه بالـجيم كالفرنسيين . ونجد الابدال المضاد : من الانكليزية حيث ينقلب يوحنا الى جون ويوسف الى جوزيف . . .

ابدال القاف همزة

لم اجد له اصلاً . ويبدو ان اساتذتنا الثلاثة لم يجدوا ايضاً لأنهم سكتوا عليه . ومن المتوقع ان تكشف عنه الدراسات اللاحقة اذ لا يعقل ان يكون مشتركاً بين السوريين والمصريين دون ان يكون له مرجع واحد في اللهجات القديمة . وقد أدلى اللغوي المغربي عبد العزيز بن عبد الله بملاحظة هامة في هذا الشأن اذ قال ان القاف تنطق همزة عند الأوروبيين . ولا بد انه يقصد القاف العربية لأن اللغات الأوروبية خالية من هذا الحرف . وقد ذكر من امثله الفعل العربي : قاس الذي ينطق في الاسبانية^(٢) ASSAIAR والكلمة الفرنسية ERABLE التي ارجعها الى قيظ العربية استناداً الى هذا الابدال . على ان هذه القاعدة غير مطردة لأن معظم المفردات ذات القاف نطقت بالاسبانية G او K (غالبا حرف C لا يعقبه حرف علة يائي) ومثاله القطن صار بالاسبانية AL GODON والقطة

(١) في اللهجات . . ص ١٢٦ وما بعدها .

(٢) انظر : مجلة «اللسان العربي» م ١١ ج ٣ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

الفعل الأصلي هو ASSA والمبقي من الحروف علامة نحوية مضافة . وهذا الفعل غير مستعمل في الاسبانية الحديثة .

GATO وقد حور الحرفان في الفرنسية والانكليزية الى C . ولكن مع وجود حالات ابدل فيها الأوربيون قافاً عربية الى همزة فلا بد من ارجاعها الى اصل اندلسي ، حيث يمكننا التخمين من هنا ان بعض الاندلسيين كانوا يلفظون القاف همزة أو انهم كانوا يفعلون ذلك في بعض المفردات فانتقلت بنطقها الاندلسي الى الاسبانية ومنها الى اللغات الاوربية الأخرى . ومن الجدير بالذكر ان الكلمات العربية في اللغة الاسبانية لم تنتقل فقط من لغة الكتابة بل في المقام الأول من لغة الكلام الاندلسية .

ومع افتراض وجود هذا الابدال في عامية الاندلس فلا بد ان يكون من لهجة عربية قديمة ، لأن لهجة الأندلس تتألف من نفس لهجات القبائل العربية التي استوطنت اسبانيا .

الابدال بين القاف والعين :

في بعض لهجات الخليج وجنوب العراق والسودان يبدل القاف غيناً ، يقولون : غاسم وغسط بدل قاسم وقسط ويرجح الاستاذ ابراهيم انيس^(١) ان هذا الابدال يقترب من نطق القاف عند القدماء كما وضعها اللغويون ، فهي لم تكن مهموسة شديدة كمثلها اليوم في معظم اللهجات العربية بل مهجورة وأميل الى الرخاوة كما هي عند اهل السودان والعراق الذين ينطقونها غيناً او قربية من الغين .

وهناك ابدال معاكس من الغين الى القاف نجده في بعض لهجات اليمن وجنوب العراق وعند قبائل الدليم في محافظة الانبار العراقية في غرب الوسط . وقد وصلت بعض آثاره الى لهجة بغداد في مفردات قليلة منها قشمرة التي تعني الاستخفاف بالشيء وعدم الثبوت وقاموسيتها غشمرة كما تلفظ في جنوب العراق والخليج . ويمكن الاستنتاج من وجودها في لهجة يمنية انها كانت لهجة احدى قبائل اليمن وان بعضاً من هذه القبيلة قد هاجر

(١) الأصوات اللغوية ص ٨٥ و ١٥٨ .

الى تلك الجهات من العراق فحمل معه لهجته الى هناك . ولا يصح العكس لأن الهجرة كانت تتم في المعتاد من شبه الجزيرة الى امتداداتها العراقية والشامية .

وقد وقفت على جماعة من جنوب العراق يبدلون القاف غيناً والغين قافاً فيقولون : غاسم في قاسم ويقولون قير في غير ولا يستطيعون نطق القاف في قاسم ولا نطق الغين في غير !

إبدال اللام نوناً

ورد من امثله القديمة : اصيلاًناً في اصيلاًلاً ولعنّ في لعل . ومن امثله الحديثة : اشنون في اشلون في العراق . ومنيح بدل مليح في سوريا .

إبدال الهمزة واواً

من امثله القديمة : وَرَّخ من أَرَّخ ، وكذّ من أكذ ، واخى من آخى وشاح من أشاح . ومن امثله الحديثة : وين من اين في العراق وسوريا والخليج وعمان .

إبدال القاف كافاً

المعتاد ان تلفظ القاف «الفصيحة» قافا حميرية كما مر بنا . لكن هناك مفردات قافية يبدل فيها القاف كافاً عادية . ففي وسط وجنوب العراق وجباليا من قطاع غزة يقولون : وكث من وقت ، وكثل من قتل . ويقع هذا الابدال في مفردات معدودة ويغلب عليها عدم الاطراد لأن من يقول وكث وكثل يقول ايضا وقت وقتل . . . وقد وجد هذا الابدال في عامية الاندلس . جاء في «لحن العامة» للزبيدي عن عوام الاندلس : يقولون استكتل في الأمر ، اذا جد فيه ، بالكاف . والصواب استقتل واصله من القتل^(١) .

(١) انظر ملحق المحقق . ص ٢٠٠ .

اببدال الذال ثاء

يحدث حالياً في امثلة قليلة ، منها في العراق : عَشَق ابدال من «عذق» وهو المجموعة الواحدة من حولة النخلة التي تتألف من الشاربخ . وابدال الذال ثاء في هذه الكلمة يرجع الى العصور الاسلامية وقد نقله الزبيدي في «لحن العامة» عن كتاب مفقود لأبو حاتم السجستاني في نفس الموضوع^(١).

ابدال السين صاداً

يرى الاستاذ ابراهيم انيس ان هذا الابدال يؤثر احد الفروق بين لهجات الحضر ولهجات البدو . فالسين عنده اقرب الى الحضارة والصاد الى البداوة . ويؤثر عن تميم انها كانت تنطق السين صاداً اذا جاورت بعض الأصوات المفخمة او مع القاف والغين والحاء اذا جئن بعد السين . ومنه :

سراط = صراط ، سخر لكم = صخر لكم ، سيقل = صيقل ..
وقد ذكر عن بني العنبر ، من تميم ، انهم كانوا يبدلون سين ساق صاداً^(٢).

ويوجد هذا الابدال في عامية وسط وجنوب العراق ، ويأتي معظمه فيما يليه خاء . ومنه : الصخا للسخا ، الصخي : السخي ، صَخْلة : سخلة ، سخام : سخام ، يصلخ : يسلخ ، يمصح : يمسخ ، يفصح : يفسخ . ويحدث نفس الابدال في المفردات الأجنبية المعربة مثل : صديم : سديم ، صدارة : سدارة (لباس للرأس) ، صالصة : SILENCER لالة المسكنة في السيارات ... وهناك ابدال يجري على

(١) انظر ص ٣٦ .

(٢) في اللهجات ... ص ١٢٨ - ١٢٩ .

سنن القراءات القرآنية : مثل صيطرة : سيطرة ، بصيط : بسيط ، مبصوط : مبسوط . صلطان : سلطان . وهو عام في اللهجات والفصحى .

ثمة إبدال معاكس من الصاد الى السين يصحب حسب تحقيق الاستاذ انيس ، حالات الانتقال من البداوة الى الحضارة . وقد اورد عليه امثلة شافية من الفصحى ، لكن الأمثلة المعاصرة عليه لا تحمل هذا المدلول لأنها تجري في بيئات متقاربة من حيث المستوى الحضري . ومنها تحويل الصاد الى سين في الفعل «ابصر» في صنعاء وإب - اليمن - حيث يقال : إيسر . وتوجد حالات قليلة منه في العراق غالباً ما كنت اسمعها من افراد معينين دون غيرهم ، ولا اذكر ، وقد بعد بي العهد عن ذلك البلد ان كان هؤلاء يتممون الى عشائر او أماكن معينة .

الابدال بين الفاء والثاء

وقع قديماً . وتسببت عن بعض حالاته مفردات جديدة كالابدال بين ثورة وفورة . لكنه بقي في معظم الحالات نطقين مختلفين للفظ واحد ، مثل ثوم وفوم - والأخير من الفاظ القرآن - والثلع والفلع ، والشم واللفم . ولهذا الابدال امثلة قليلة في عامية العراق منها : ثلوجة في فلوجة ، بلدة الى الغرب من بغداد والثاء فيها ابدال لأنها وردت في المصادر الاسلامية بالفاء ، وهو لفظها المعروف ايضاً في العراق ، ويقول العراقيون : فالولة يدل ثالولة واصلها ثؤلولة ثم حرفت منذ الاندلس الى ثالولة .

ابدال الراء غيناً

لدينا رواية عن وقوع هذا الابدال في لهجة بغداد الاسلامية اذ يقول ياقوت ان البغداديين كانوا يلفظون الراء غيناً حتى في القراءة^(١) . ويعني هذا انهم اذا قرأوا هذه الآية قالوا :

(١) معجم الأدباء ١٢/٦٧ .

«ونفيد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأغص ونجعلهم أئمة
ونجعلهم الواغئين . . .»

ولعل لهذه العُنة صلة بحضارة بغداد الاسلامية التي عرف اهلها
بالتأنق في كل شيء . وقد زال اليوم من لهجة بغداد . لكننا نجد بقاياها عند
اهل الموصل وهم اليوم اكثر حضارة من اهل بغداد الحالية ، لكنهم لا
ينقلونه الى لغة القراءة ، وتبعاً للغوي المغربي عبد العزيز بن عبد الله ،
فهذا الابدال موجود كذلك في لهجة فاس .

ابدال الصاد زائاً

تبدل الصاد الساكنة اذا وقعت بين حروف معينة زائاً مفخمة او صاداً
مجهورة كما يسميها الاستاذ ابراهيم انيس . وهذه الزاي هي التي يحول
اليها لفظ الظاء في مصر وسوريا . وهناك حالات تنطق فيها الصاد زائاً
عادية وامثلتها قليلة اشهرها لفظ الصاد من صغير في بعض العاميات
المعاصرة حيث يقال : زغير ورغار في الجمع . ويقال احياناً صغير كما
يقال : مصدر بالصاد المجهورة . ويكون مع تسكين الصاد فان حركت
عاد لفظه صاداً عادية .

ولفظ الصاد زائاً مفخمة على هذا النحو ورد في القراءات القرآنية
وقد مرت الاشارة الى قراءة الكسائي للآية : حتى يصدر الرعاء بالزاي
المفخمة او الصاد المجهورة .

الابدال بين الثاء والسين

يقع في الفاظ قليلة ابدال الثاء سيناً في سوريا وفي اقل منها في العراق
ويلفظ السوريون ثقافة ومثلث ومثقف . . سقافة ومسلس ومسقف . . .
ويلفظ العراقيون والسوريون : ديوث ، ديوس . ومن امثلته في الفصح
وَعَثَ و وَعَسَ للطريق الرخو الرمي الذي يصعب المشي فيه ولما يعانیه
المسافر ومنه : وعشاء السفر .

ويحدث ابدال معاكس من السين الى الثاء لكنه اقرب الى ان يكون
من باب اللثغ الذي يحدث غالباً للأطفال والصبيان . وشاهده في هذين
البيتين من عبثيات ابونواس :

وشادنٍ قلت له ما اسمكا ؟
فقال لي باللثغ عبّاثُ
فصرت من لثغته اللثغاً
فقلت اين الطاث والكاث ؟

ابدال حروف التضعيف ياء

قاعدة في جميع العاميات تعم الأفعال المشددة الآخر اذا اتصلت
بضمير الفاعل للمتكلم والمخاطب مفرداً وجمعاً ، ومثالها :

مر : في التصريف المعروف في الفصحى يقال : مررت ومررتنا
ومررتم وفي العامي : مررت ومررتنا ومررتم .

اضطر : في التصريف الأول يقال : اضطررت واضطررتنا
واضطررتم وفي العامي : اضطريت واضطرينا واضطريتكم .

والعامي فصيح ايضاً وقد نص عليه القالي في اماليه واعتبره قاعدة
تعم كل المضعف من الأفعال^(١) .

ومنشأ هذه القاعدة تيسير النطق لأن فك الادغام بتكرار الحرف المشدد
غالباً ما يستثقل . مثل : استمررت اثقل في اللسان من استمررت ولو
أن هذه السهولة لا تطرد في كل الأفعال فقد تستوي في بعضها مثل ظننت
وظنيت .

(١) امالي القالي - بيروت بلا تاريخ . ج ٢ / ٢٢١ .

حذف أن المصدرية

العامية تقول : اريد اشرب ماء وتجدها اسهل واوجز من اريد ان اشرب ماء . وقد ورد الحذف قديماً عن الشافعي في قوله : (١)
« عليه يتعلم الصلاة والذكر فيها » .

ولم يقل : عليه ان يتعلمها . ومن شواهده في القرآن : « ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً » فحذف أن من يريكم .

القلب في المفردات

تضم العاميات مفردات كثيرة مقلوبة عن أصلها الفصح منها في عاميتي مصر وسوريا جواز من زواج وفي عامية المغرب خنفر من فنخر ، اذا تكلم بأنفه ، وفي عامية العراق مرعوص من مصروع . والقلب باب واسع في الفصحى وقد استفاه السيوطي في « النوع الثالث والثلاثين » من كتابه واستعرض آراء اللغويين القدماء فيه . وهم يجمعون على وقوعه في اللغة وأوردوا له امثلة منها : جذب وجذب ، مزاب ومرزاب ، صاعقة وصاعقة ، طامس وطاسم (للمندثر) ، شهيرة وشهيرة (للعجوز المسنة) . ومن القلب ما يضيف معنى جديداً للمفردة مثل وحشي وحوشي حيث اختص الأخير بوصف الالفاظ غير المستساغة عند الأدباء كاستعمال المتنبي كلمة جرشي للنفس . ومنه ايضاً اوباش وأوشاب قلب نشأ عنه معنيان يختص الأول بالناس والثاني بالمختلط من الأشياء .

ومن القلب ما يولد مرادفاً يكافئ المعنى الأصلي مثل خنفر من فنخر في المغربية . لكن بعض القلب يثير التباساً ولا ينطوي على اي ابداع في اللغة ومن امثلته جواز من زواج في السورية والمصرية لأنه يلتبس مع اصطلاح مميز وشائع ومتعدد الاستعمالات .

(١) الرسالة . تحه احمد محمد شاكر . مصر ١٩٤٠ ص ٤٩ .

القُطعة

هي حذف الحرف الأخير من الكلمة للاختصار ، وهي كالترخيم ، لكنه مقتصر على الأسماء في حال المنادى ، والقُطعة عامة فبإسواء من الألفاظ . وتنسب القطعة الى قبيلة طي ، كقولهم يا ابا الحكا ويقصدون ابا الحكم . وتظهر القطعة في حالات مشتركة يقتضيها غرض التخفيف ومنها : لم يك أو أك اي لم يكن أو أكن وهي كثيرة في لغة القرآن .

وفي العاميات المعاصرة نجد القطعة عند السوريين في بعض المفردات مثل : تعا اي تعال حذفوا اللام للتخفيف ، وعند العراقيين في اكو اختصار اكون ومعناها يوجد ويعاد اختصارها في حالة النفي فتصبح : ماكو . وفي المغرب العربي سي اقتطاع سيدي .

وتمتد القطعة في العاميات المعاصرة الى جميع الأسماء الممدودة التي تحذف منها الهمزة فتصير مقصورة وتلفظ بالإمالة . مثل : السما ، الوفا ، الرجا . . . والهمزة في هذه الأسماء ليست أصلية اي انها ليست جزءا من بنية الكلمة ولذا اجيز حذفها في الشعر . وفيما عدا الممدودات تلفظ الأسماء التي تجري عليها القطعة الفأ كاملة ، من دون امالة ، مثل : تعا في سوريا والزكا والصللا ، في بعض اللهجات ، تلفظ بدون امالة على الأغلب

تحريك عين الثلاثي الساكنة

من ارجوزة لمقاتل في فتح مكة^(١) :

قد علمت بيضاء من بني فهر

نقية الوجه نقية الصلير

لاضر بن اليوم عن ابي صخير

(١) الاستعاب لابن عبد البر القرطبي - حيدر آباد ١٣١٨ هـ ج ١ / ٢٣٠

ولمقاتل يوم القادسية يسخر من سعد بن ابي وقاص ، وقد ورد في
الصاهل والساحج للمعري :

قد نصر الله وسعد في القَصْرِ

وقد اختلف اللغويون في سبب التحريك فقال بعضهم أن كل اسم
ثلاثي أوله مضموم واوسطه ساكن فمن العرب من يثقله ومنهم من يخففه
مثل : عُسْر وعَسْر ، حُلْم وحُلْم ، يُسْر ويسر . وقال ابن دَرَسْتَوِيَه ان
اهل اللغة وأكثر النحويين يقولون : كل ما كان الحرف الثاني منه حرف
حلق جاز فيه التسكين والفتح نحو : شَعْر وشَعَرَ ، نَهْر ونَهَرَ^(١) . وعدد
ابن قتيبة^(٢) جملة من الثلاثيات وقال فيها لغتان - لهجتان - تحريك وتسكين
ومنها : فحْم وفَحِم ، نَهْر ونَهَرَ ، ظَعْن وظَعَن دأْب ودأَب ، صَخْر
وصَخَّر ... الخ .

وللتحريك علاقة بقاعدة معروفة اهملها اللغويون في تسبيبهام له
وهي استثقال او عدم جواز التقاء الساكنين . ومن حرك وسط الثلاثي من
العرب انما جرى على هذا الأصل . ونعرف ذلك من قاعدة التحريك في
العاميات المعاصرة التي تأخذ به ، فهم يلفظونه محرّكاً اذا وقفوا عليه ،
ويسكنونه اذا اتصل فيما بعده ، مثال هذا اذا قالوا صدر ووقفوا عليه
كسروا الدال فاذا قالوا صدر المجلس عادوا الى التسكين . ويطرّد ذلك في
كل ثلاثي ساكن الوسط في اصله . وبما يدل عليه انهم لا يسكنون عند
الاتصال ما اصله التحريك مثل ادب اذا قالوا : ادبك ابقوا الدال
مفتوحة .

التحريك والتسكين في هذا الباب موزع بين العاميات المعاصرة .
والميل الأغلب الى التسكين ، لأنه كان غالباً على اللهجات ولغة الكتابة .
والتحريك شائع في عامية العراق والخليج في حدود استقصاءاتي
الراهنه . وكان قديماً في عامية الأندلس .

(١) المزهر ١٠٩/٢ .

(٢) ادب الكاتب ٤٢٢ - ٤٢٣ .

ازالة الاعلال من المعتل الوسط

يستثقل العامة لفظ بعض المشتقات الميمية من الفعل المعتل الوسط فيزيلون اعلاها بتسكين الحرف الصحيح الذي يسبقها وفتح المعتل . ومن هذا القبيل : مصيدة ومشورة بسكون الصاد والشين وفتح الياء والواو . وقد نص الزخشي على هذه الصيغة وذكر لها قراءة مماثلة للآية : «لثوبة عند الله» بسكون الثاء وفتح الواو . لكنه اعتبرها من الشواذ^(١) . وهي مع ذلك مألوفة في بعض العاميات ويميل اليها المحدثون من المثقفين لأنهم يجدونها أسوغ في النطق كقولهم مصيِّف بدل مصيِّف .

اختزال حرف الجر «على»

في معظم العاميات ويقتصر الاختزال في الغالب على حالة الاتصال باسم معرف بالألف واللام . مثل على الجسر تختزل : ع الجسر وفيما عداه يلفظ الحرف كاملاً مثل : على مهلك وعلى كيفك لكن بعض الناس في سوريا ولبنان يلجأون هنا ايضاً الى الاختزال . وتسمع دائماً في دمشق وبيروت من يقول ع مهلك ومن يقول على مهلك .

اختزال «على» ورد في النصوص القديمة في حالة الاتصال بالاسم المعرف بآل . ومنه هذا البيت لقطري بن الفجاءة ورد في «الحماسة الشجرية» :

غداة طفت ع الماء بكر بن وائل
وعجنا صدور الخيل نحو تميم

وقد نسب هذا الاختزال الى قبيلة بلحرث ، ولعله اوسع منها لأن قطري من كنانة .

(١) الفصل ص ٣٨٠ .

استعمال أم التعريف بدل أل

أصله في لغة حمير ، واستمر في لهجات اليمن اللاحقة . ويوجد اليوم في بعض انحاء تهامة وفي ناحية ارحب ونواحي اخرى من شمال اليمن .

وبقي من هذه الأداة اثر في مفردات معينة مصرية او سورية كقولهم امبارح اي البارح - البارحة . ولعلها موجودة في لهجات اخرى لم يبلغها استقصاؤنا .

مد كسرة تاء الفاعل في المؤنث :

تقول العامة شربت الماء وشربتيه وأكلت الطعام وأكلتيه بمد كسرة تاء الفاعل لتصبح ياء . والباعث على هذا استئصال اجراء اللفظ على الكسر مع الاتصال بالهاء . وترجع هذه الحالة الى العصور الاسلامية ؛ فقد ورد في حديث للبخاري عن أمة تدعى بريرة اعتقت فهجرت زوجها ، الذي بقي على الرق ، وكان يحبها فحاول محمد ان يؤلف بينها فقال لها :

لو راجعتيه

بالياء في بعض نسخ البخاري وقد اثبتها القسطلاني بهذا الشكل في شرحه للحديث^(١) كما وردت بنفس الشكل في سنن ابن ماجة^(٢) . لكن شارحاً آخر للبخاري هو العيني اثبتها بالتاء المكسورة وأشار الى قول شارح سابق هو ابن حجر انها بالياء لغة ضعيفة ثم عقب^(٣) : « ان صح هذا في الرواية فهي لغة فصيحة لأنها صادرة من أفصح الخلق » . وعلى اية حال ، فمع الخلاف في ثبوتها عن النبي لفظاً - والحديث قد يروى بمعناه دون

(١) ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج ٨ / ١٨٤ .

(٢) ج ١ / ٦٤٠ .

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج ٢٠ / ٢٦٩ .

لفظه - فيمكن القول انها ترجع على الأقل الى القرن الثالث للهجرة وهو القرن الذي كتبت فيه سنن ابن ماجه . وتوجد هذه الصيغة في لغة «الف ليلة وليلة» على نحو موسع .

فتح باء الجر

معروف عموماً عند البدو وكذلك عند السودانيين . يقولون هلا بك وهلاّب . وهو منسوب الى قضاة قديماً^(١) .

فتح عين «عند»

في كلام السوريين والمصريين . وقد نصّ اللغويون على انها لهجة قديمة^(٢) .

صيغة المفعول من المعتل الوسط

وردت عن تميم . وذكرها الزنجشري دون ان يخصصها بلهجة معينة . ومثالها : مبيوع ، مصيوغ ، مصيود . وهذه الصيغة في معظم العاميات المعاصرة مما يرجح عدم تخصيصها بلهجة قديمة واحدة .

إعلال الماضي الثلاثي

في العراق والخليج وبغض انحاء مصر (الدقهلية والغربية) وسوريا حيث يقال : بقى ، لقى ، رضى ، بدل : بقي ، رضي ، لقي . ويكسر اوله أو يفتح بحسب اللهجات .

والاعلال هو لهجة طيء التي كانت تقلب الياء الفاء في هذه الأفعال .

(١) انظر م . تيمور ص ١٧٥ .

(٢) نفسه ١٧٥ .

وله امثلة في لغة الكتابة قديماً كهذا المطلع للشريف الرضي في رثاء الحسين :
كربلا ما زلت كرباً وبلا ما لقى عندك آل المصطفى
النفي مع الشين

في مصر واليمن وبعض لهجات ارياف العراق يضاف : ش الى آخر
العبارة المنفية فيقال : ما يكتيش ، ما فيش ، ما مش ، ما جاش . . والشين
مختزلة من شيء : بمعنى ما يكتب شي ، ما فيه شي ، ما من شي ، ما جاء
شي

واختزال شيء مألوف في لغة الكلام القديمة وقد مرت بنا بعض
امثلته . ويرجح الاستاذ ابراهيم انيس ان اختزاله في صيغة النفي هو لهجة
قديمة ايضاً وذلك بالنظر لشيوعه في اكثر من لهجة معاصرة^(١) .

اسم الاشارة

تحدث الاستاذ انيس عن قضية هامة جداً وهي وجود اسم اشارة
مشارك في جميع اللهجات العربية المعاصرة يختلف تماماً عن اسم الاشارة في
لغة الكتابة . والاسم هو ، بحسب اللهجات^(٢) : هاذول (الأردن) ،
ذول وذولا (العراق) ، هادول (بلاد الشام) ، دول ودولا (مصر) ،
هاذُول (المغرب) دَيول (السودان) ذولا (نجد) ، هاذُول (صنعاء) .

(١) ص ٢٤٢ .

(٢) ص ٢٣٩ - ٢٤١ .

«هاذول ايضاً في العراق . ومن الجدير بالملاحظة ان اصل الكلمة ذول وذولا
وابدلت الذال دالا في مصر والشام والسودان . اما حرف ها فهو للتنبيه ، كالذي يلحق
مع هذا واصلها : ذا .

وقد رجح ان هذا الأسم قديم وانه جرى في لغة الكلام جنباً لجنب مع هؤلاء التي اختصت بلغة الكتابة ، لأنه مشترك في جميع اللهجات المعاصرة ، ولا يمكن ان يكون تحويراً من هؤلاء لبعده عنه .

وتختص ذول وتفرعاتها بالاشارة القريبة . اما للبعيد فيضاف الكاف على غرار لغة الكتابة فيقال : ذولاك وذوليك بإمالة الألف حتى تلامس الياء . وقد تُبدل اللام نوناً .

اما اسماء الاشارة في المفرد فهي كالفصح المكتوب : هذا وذاك وهذي وهذه وهاته . وذيك بكسر الكاف في معظم اللهجات والكشكشة في اللهجات الآخذة بها . واصلها : ذي اضيف اليها كاف البعد ، فهي فصيحة لأن ذي هي الأصل في هاذي وانها كما قلنا للتنبيه اي انها ليست جزءاً من بنية الكلمة . وتحورت هذا في اللهجة اللبنانية الى هيدا بامالة الألف حتى الياء وابدال ال ذال دالاً .

وتخلو العاميات من ذلك وهو من آثار الفقر اللغوي لأن هذه الكلمة مرتبة ضرورية من مقاييس البعد والقرب الموزعة في الفصح الى : قريب (هذا) بعيد (ذاك) ، ابعد (ذلك) .

ادوات الاستمرار والحال

تعبر الفصحى عن الاستمرار والحال بالحال المنصوب . جاء فلان راجباً = RIDING فإذا أريد الاستمرار دون الحالية كتب الفعل المضارع مجرداً من الدلالة فيفهم من السياق . «كان فلان يكتب حين حدث كذا» فإذا اريد الأجابه عن سؤال : ماذا يفعل فلان ؟ قيل «هو الآن يكتب» . وقد رجح العلامة ابراهيم انيس ان لغة الكلام كانت تستعمل لهذا الغرض كلمات مساعدة تصلها بالفعل المضارع وان هذه الكلمات قد اختزلت فاصبح المصري واهل الشام والسوداني واهل مكة وبعض جهات اليمن يقولون : يبلعب ، بيغني . . والباء هي عنده ما تبقى من الكلمة المساعدة التي يفترض بعض المحدثين لها عدة اصول منها : باقي ، ذاهب ،

بدي^(١) . وقد تكون بقى فرضاً صالحاً لأنها تتردد في الكلام كقولهم في مصر : «بقاله كذا يوم يعمل» وهي في الموصل لازمة كلام : «فلان بقى يمشي» او : «بقى لا تحي . . .» وتليها في قوة الاحتمال : ذاهب حيث يرد في لغة الكتابة : «انا ذاهب افعل كذا» . . . ويجب الافتراض على اي حال ان الباء اخذت هذا الشكل في العصور الاسلامية لأنها كانت في لهجة الاندلس ويدل عليها هذا المثل العامي الاندلسي الذي اقتبسناه من كتاب «اشبيلية في القرن الخامس الهجري» للدكتور صلاح خالص :

اذا رأيت الأمير بيضمك فاعلم ان قلبي ببيكي
كما يمكن ان يستدل من وجودها في عدد كبير من اللهجات انها كانت كذلك في تلك العصور .

وفي العاميات العراقية ثلاث ادوات للاستمرار : الدال الشائعة في الوسط : ديلعب ، ديفني ويرجح الاستاذ انيس ان اصلها قاعد فاختزلت^(٢) . وهو ترجيح قوي لأن قاعد لا تزال ترد مع الفعل المضارع هناك . يقال : إش د يعمل فلان ؟ فيجواب : قاعد (كاعد) يكتب . وسمعت بائعة من الشمال الغربي تشتم مشترياً وتقول : «قاعد يستنقي الزين الزين» .

ويبدو ان قاعد هذه قد اختزلت في اداتين : الدال التي في الوسط ، والقاف التي قال الاستاذ انيس انهم ذكروا له انها لهجة يهودية . والصحيح انها لهجة الشمال واستعملها اليهود المتأثرون بهذه اللهجة^(٣) .

(١) ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٢) ص ٢٤٢ .

(٣) اللهجات لا تتوزع على الطوائف بل على الأماكن . وقد سعى الباحثون الغربيون الى التوزيع الأول لأغراض تقسيمية . وللمستشرق الفرنسي ماسينيون دراسة من هذا النمط وزع فيها لهجة بغداد الى : لهجة شيعية ، لهجة سنة ، لهجة نصارى لهجة يهود . . انظر كتابه «لهجة بغداد المعاصرة» تر . اكرم فاضل ، بغداد ١٩٦٢ .

ويقول الشاليون في العادة : ق يكتب ، ق يلعب بذل ديكتب او دي لعب . مع ملاحظة ان الدال والقاف تلفظان بالفتح مرة وبالد مرة بحسب اللهجات .

الأداة الثالثة للاستمرار في العراق منطوقة في الجنوب وعموم الأرياف ، وهي الجيم حيث يقال ج يكتب ، ج يلعب . وارجح انها اختزال من جاء او جاي التي ترد كاملة في كلامهم احياناً : جاي يلعب ، جاي يزرع . .

التسويق :

يشترك عدد من اللهجات المعاصرة في اداة تسويق مأخوذة من الفعل راح . هي : راحَ والحاء المختزلة منها ، كما اختزل السين من سوف . ويرجع اشتراك هذه الأداة في اكثر من لهجة كونها قديمة في لغة الكلام . واصل اشتقاقها قولهم في لغة الكتابة : «راح فلان ليفعل كذا» وفي لغة الكلام : «فلان رايح يفعل كذا» او «راح يفعل كذا» وفي هذه العبارة معنى الفعل الحاضر الذي لم يقع بعد اي ان فيه معنى الاستقبال . فصارت تعني : «فلان سيفعل كذا» وبذلك اكتسبت راح معنى سوف ثم اختزل منها الحاء فصار يقال : «فلان ح يفعل كذا» . لكن راح لم تنسحب من التداول فهي باقية مع الحاء كما بقيت السين مع سوف .

اداة الاضافة والتملك

تعتمد الفصحى في بيان مفهوم الاضافة والتملك على الجمع المباشر بين المضاف والمضاف اليه فيقال : روح العصر ، حضارة العرب ، كتاب محمد

وفصل هذه الكلمات في اللغات الأوروبية اداة اضافة من قبيل Of في الانكليزية DE في الفرنسية والاسبانية فيقال : LIBRO DE BOOK OF MOHAMMAD, - MOHAM.. وقد يخالف الانكليز في الترتيب فيسبق محمد الكتاب ويفصل بينهما ب S التملك : MOHAMMAD'S BOOK .

وتجري العاميات المعاصرة على هذين النسقين : الجمع المباشر بين
المضاف والمضاف اليه او استعمال اداة للاضافة . وهي بحسب
اللهجات :

تبع : في السورية ، بتاع في مصر والمغرب ، ديال في المغرب مال
في العراق ، حق في الخليج واليمن وبقية انحاء الجزيرة .
والأدوات من الفصيح كلها عدا ديال المأخوذة من الفرنسية او
الاسبانية .

ادوات الاستفهام

هذه الأدوات من اكثر الأمور اختلافا في اللهجات ، على مستوى
البلد الواحد او اجزاء البلد . وفيما يلي مسرد بما توصلنا الى معرفته منها :
أيش : مر بنا انها اختزال اي شيء وهي قديمة ترجع الى حقبة
الاحتجاج وتوجد حالياً في معظم اللهجات بأصلها أو محرفة الى إيش
باختزال الياء او الى شو من : ايش هو في سوريا او شنو من ايش هو في
وسط العراق (النون للوقاية) او أشنو في المغرب وشمال العراق . او شنهو
وشنهي في جنوب العراق .

ايه : ايش . مصرية . لعلها اختزال اي هو ولها سابقة في شعر
لذي الرمة ، من الألوان الأموي :

«وقفنا فقلنا ايه عن ام سالم»

ليش : اختزال لأي شيء او لايش في العراق ومصر وسوريا والخليج
وعمان .

ليه : ليش . من لأيه . مصرية .

ليه : في صنعاء . وقد مرت بنا صيغ اخرى مبنية لنفس المعنى .

علاش : لماذا . مغربية وجزائرية . ويقاربها في العراق : عlish
(فتح العين في بغداد وتسكينها في النجف) . اختزال : على ايش .
ماهو : ما هو ، ايش ، يمنية .

أين : يمنية (تلفظ بعدم النبر على الياء) .
وين : اين . ابدال الهمزة واو . العراق ، سوريا ، الخليج
وعمان والجزائر .

مين : اين . اختزال في اين . مصر والمغرب .
متى : بأصلها الفصحى في الموصل وعمان . وفي سوريا ومصر :
إمتى . وفي جنوب العراق والخليج : متى . وفي بعض لهجات العراق :
يمتى ويا متى اضيفت يا للتنبيه وابدلت همزة في سوريا ومصر . وهو ابدال
نادر معروف عند القدماء .

اي حين : متى . يمنية .
إمتاش : متى . مغربية . اضافة شين شيء على غير قياس .
وقتاش : متى . جزائرية . (وقت ايش) .
اش وقت (وكت) : متى في وسط العراق . (ايش وقت) .
كم : للمقدار . مصر وسوريا .
إش حال : كم . مغربية وجزائرية .
قدايش : كم . في سوريا والجزائر (قداش) . مركبة من قد ، وهو
القياس والقوام ، وايش .

بَيْش : كم . اختزال : باي شيء أو بأيش : عراقية .
كيف : للسؤال عن الكيفية . مصر وسوريا وعمان والمغرب .
إشلون : كيف . العراق والخليج . تركيب اش + لون ويبدل
اللام نوناً عند بعضهم : اشنون .

كيفاش : كيف جزائرية (كيف ايش) .
مَنْ : للاستفهام عن الانسان . يمنية ، عمانية .
مين : من . مصرية وسوريا ، باشباع الكسرة على اصل مجهول لم
يتبين لنا .

منو : من . عراقية نص عليها الزمخشري في المفضل .
إشكون : من . المغرب وشمال العراق والجزائر .
وتخلو العاميات من اداتي السؤال التصديقي : هل والهمزة .

اسم الموصول

يختزل اسم الموصول في لغة الكلام الى احدى صيغتين : الي وأل وهو عام في جميع اللهجات مع استثناءات تجدها في بعض انحاء الجنوب العراقي حيث ينطق الاسم المفرد (الذي) كاملاً مع كسر اللام . وربما وجدت حالات مماثلة لم يبلغها استقصائي ، والاستاذ ابراهيم انيس ينص على ان هذا الاختزال مشترك في العاميات كلها^(١) ، ويرجح لذلك أنه قديم . وهو ما يتأكد لنا من الزنجشري الذي نص في المفصل على ما يلي بشأن «الذي»^(٢) : «لاستطالتهم اياه بصلته مع كثرة الاستعمال خففوه من غير وجه فقالوا اللذ بحذف الياء ، ثم اللذ بحذف الرحكة ، ثم حذفوه رأساً واجتزأوا عنه بالحرف الملتبس به وهو لام التعريف . وقد فعلوا مثل ذلك بمؤنثه فقالوا : اللتا واللت والضاربتة هند»^(٣) اي التي ضربته هند» .

ويشتبك لام الموصول هنا مع ال التعريف كما في الضاربتة هند ويفيدنا ذلك في قضايا الاصطلاحات كما سنفصله في بابه .

النبرة واللهجة

لما كنا نقرأ ما وردنا عن الأقدمين مكتوباً وليس مسجلاً بأصواتهم فمن المتعذر ان نتصور كيف كانوا ينطقون هذا الذي نقرأ اليوم . اننا نطالع حروفا صامته مرسومة وفق نمط صوتي مقنن فتتوهم ان كتبه هذا الكلام كانوا ينطقونه كما هو مكتوب الآن . ان الحقائق التي استعرضتها آنفاً يمكن

(١) ص ٢٤٢ .

(٢) الفصل ١٤٣ .

(٣) في حساب لغة الكتابة يجب ان يكون «الضاربتة» - اربع حركات - ومن المستبعد ان يكون كذلك في لغة الكلام لأنه يتنافى مع الغاية من اختزال اسم الموصول . فلا بد أنهم اقتطعوا منه احدى الحركات .

أن تلقي بعض الضوء على ذلك فتحملنا على تصوير الاختلاف في طريقة النطق تبعاً لحالات الابدال والادغام والاختلاف في الحركات وغيرها وعندئذ قد نتخيل شخصاً من ربيعة يقرأ معلقة امرئ القيس فيقول :

قفا يتش من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

أو آخر من غميم فيقول :

كفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

أو بهرائياً يقرأ القرآن فنسمعه يقول :

هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

هذا عن اللهجة . ويبقى اختلاف النبرة مجهولاً لأنها لا تعرف بالوصف كما تعرف اللهجة غالباً . واقتبس هذه الفقرة الطريقة التي كتبها حفني ناصف عن هذه المسألة الحيوية لتكوين فكرة مقربة عنها . وأود أن يلاحظ سلفاً أن النبرة تأثيراً كبيراً على التفاهم بين الناطقين بلغة واحدة ، لأن طريقة نطق المفردات تسبب اختلافاً في مخارج المفردة تجعل تمييزها صعباً لمن لم يألف نبرة غيره . . .

قال حفني ناصف^(١) :

للقبائل المختلفة هيئات مختلفة في التلفظ بالكلمات والنطق بالعبارات . فالعبارة الواحدة المركبة من كلمات معينة وإن كانت متحدة مادة تختلف هيئة تبعاً لعادات الناطقين بها . وذلك عام في اللغة العربية الصحيحة والعرفية بل وفي سائر اللغات .

(١) انظر ص ٣٤ - ٣٦ .

وكثيرا ما تلتبس معاني الأحاديث والاخبار والكلمات الماثورة عن مشاهير الملوك والعلماء الظرفاء ويذهب المفسرون بها كل مذهب لعدم الوقوف على الهيئة التي صدرت من المتكلم بها. ولو نقلت الهيئة مع الجملة لما حصل لبس في معناها. ولهذا قال بعض المحققين ان نقل الأخبار في الحوادث التاريخية بالطريقة التي عليها المؤرخون لا يفيد القطع ولا يحمل على اليقين وإنما يفيد الظن فقط. ومن ثم رجح الناس الآن استعمال التلفون على استعمال التلغراف كما رجحوا النقل بالفونوغراف (يقصد بالأسطوانات وكان المسجل غير معروف في زمانه) على النقل بالكتابة ولولا ما يستلزمه الأول من النفقات لعطل الثاني بالمرّة.

والاختلاف في الهيئة يكون بالشدة والرخاوة والسرعة والبسطة والتفخيم والترقيق والوصل والتقطيع والامالة وعدمها ونحو ذلك. ونقل اللغة العربية لم ينقلوا لنا الهيئات التي كان عليها نطق العرب ولم يضعوا في الكتابة اشارات تدل عليها. وللأفرنج (يقصد الأوربيين) في كتابتهم اشارات تدل على بعض الهيئات ولكنها ليست كافية ايضاً في الغرض المقصود. ويمكن استنباط الهيئات التي كان عليها نطق العرب من الهيئات التي عليها نطق العوام اليوم. فاذا رأينا في لهجة قوم في العامة خصائص كثيرة من خصائص لغة قبيلة من العرب حكمنا أولاً بأن أولئك القوم ينسبون لتلك القبيلة كما تقدم، وثانياً بأن هيئة نطقهم الموجودة الآن لا بد أن تكون موروثه عنهم. وحيث يمكننا ان ننسب الى الموروث ما تحققناه في الوراثة.

ولنذكر من المسائل ما عثرنا على نسبة بعض الهيئات فيه للعرب حتى يتيسر لنا الوقوف على غيره.

المسألة الأولى : نقل العلماء أن بني قضاة كانوا اذا تكلموا لا تكاد تظهر حروفهم ولا تتميز كلماتهم ، وعدوا ذلك من المعاييب وسموه غمغمة قضاة . ومن قرى مديرية الشرقية قريتا تل رُوزن وميت حَمَل ، يغمغم اهلها في الكلام .

المسألة الثانية : لغة تميم وأسد وقيس وعامة نجد ، إمالة الفتحة والكسرة كالحركة الافرنجية (يقصد هنا الفرنسية) التي تحدث بالحرف ء .
والحجازيون لا يميلون الا نادراً والامالة نادرة في لغة بني سويف وبعض الفيوم والمحلة وسائر البلاد التي يتكلم اهلها بالقاف الصريحة ، وكثيرة في لغة بقية العوام في الديار المصرية . فأهل القاهرة مثلاً يميلون الف التثنية في نحو حسنين وكتابين وفرسين ، والمحليون لا يميلونها بل يضعون مكانها الياء الخالصة فيقولون حَسَنَيْنْ وفرسَيْنْ بفتح النون في الأول والسين في الثاني .

وبين سكان بلادنا اختلاف عظيم في هيئة النطق ، فأهل دمياط وما يجاورها من القرى واهل العُشْن وما حولها يركزون ركزة خفيفة على الحرف الساكن في نحو مصطفى ومرضى ومنتهى ونحو : مجزرة ومنشفة ومخرطة .
واهل شين القناطر من مديرية القليوبية والقريتين من المنوفية يتراخون في اواخر الكلمات واهل المرج من القليوبية يرققون الرءاءات مطلقاً واهل دمنهور يرققونها في مثل «رايح» و«يوم الاربع» . واهل البحر الصغير يسرعون بالنطق ولكن مع التمييز .» .

مشكلات الاعراب

ومقومات انتقال لغة الكتابة الى النحو الساكن

للاعراب في العربية وظيفتان : الأولى ايضاح المعنى المقصود من الكلام بالتمييز بين حركة المفردات بحسب اوضاعها المختلفة في العبارة : ما هو مبتدأ وخبر ، ما هو فاعل ومفعول ، ما هو ماضي ومضارع ، وما هو حال وتمييز . . . الخ . والعربية تحقق ذلك بحركة الحرف الأخير من كل مفردة وهي اما الفتح او الكسر او الضم او السكون ، ويلحق بها الحذف او الاثبات في الأفعال الخمسة والابدال بين الألف والواو والياء في المثنى والمذكر السالم .

الوظيفة الثانية موسقة العبارة . وهو غرض يتصل بلغة الأدب القائمة من جانب الشكل على عنصر التأثير الموسيقي . ويوفر الاعراب هذا الغرض بتنوع الضربات الموسيقية من خلال التغير المتلاحق في اواخر الكلمات . ويتصل بهذه الميزة عروض الشعر الذي يعتمد في تنويعاته الوزنية البالغة الثراء على التغير في حركة اواخر الكلمات .

ان ضرورة الاعراب في المنحى الأخير هي أمسّ منها في المنحى الأول لأنه يرتفع بأوضاع نغمية تزول بزواله . ويعني هذا ارتباط الاعراب بأوزان الشعر ، سواء في قالبها الفراهيدي ام في الحديث الحر ، لأن بحور الشعر المختلفة تعتمد كما قلنا على الحركات الاعرابية في المقام الأول .

اما الوظيفة الأولى فيمكن الوفاء بها دون التقيد الحر في بالاعراب . وقد عالج هذه المسألة لغوي معاصر هو الدكتور تمام حسان في دراسة هامة عنوانها «القرائن النحوية واطراح العامل والاعرابين التقديري والمحلي» ونشرها في مجلة «اللسان العربي» - المجلد ١١ الجزء الأول ١٩٧١ . وفي

هذه الدراسة يقيد الكاتب مهمة الاعراب بالأمن من اللبس ، فيجعله قاعدة مشروطة يمكن اهماها مع توفر القرائن الأخرى الواقية من اللبس . وهو على هذا الأساس يفسر المخالفات الاعرابية في القرآن راداً على اللغويين القدماء الذين اعتبروها شذوذاً أو لهجة .

يؤيد ما ذهب اليه هذا اللغوي المدرك ان الاعراب ذهب من لغة الكلام في وقت مبكر من العصور الاسلامية دون ان يؤدي الى احداث بلبلية لغوية . وقد ظهر اللحن (الخطأ الاعرابي) في غضون القرن الأول للهجرة ، اذ يتحدث المؤرخون عن اللحن عند الوليد بن عبد الملك والحجاج بن يوسف الثقفي وينسبون الى عبد الملك بن مروان قوله «شيبني خوف اللحن وصعود المنابر» وهو قول دال - مع امكان استبعاد صدوره عن هذه الشخصية الضخمة - على تفاقم ازمة الاعراب في ذلك الأوان .

ويبدو ان العرب ما إن خرجوا من باديتهم الى الأمصار وتعددت حياتهم الاجتماعية ، ومع اختتام طور الثقافة الشفوية التي ميزت جاهليتهم ، حتى بدأوا يحسون بوطأة الاعراب عليهم . ان الاعراب ممكن في معشر بدوي غير مكتظ يحيا حياة منبسطة محدودة الأبعاد والتكاليف ، لكنه امر عسير في الحضارة ، ومع انه يسجل من بعض الوجوه نضجاً دلاليّاً في اللغة قد لا يكون بدوره من نتاج البادية(*) ، فان وجوده في اللغة يتعارض عملياً مع حياة معقدة ، حيثة ، متعددة المهام .

(*) ينبغي في الواقع رفض القول المشهور بأن اللغة العربية نتاج خالص للصحراء . فالعربية هي لغة سامية تتصل من جهة باللغة السامية الأم وتتوزع نشأتها من الجهة الثانية بين البوادي والحوضر لأن رقعتها الاقليمية تتميز تاريخياً بهذا التداخل . هذا فضلاً عن احتكاكها بشقيقاتها الساميات بحكم الوحدة الجغرافية ، واتصالها بلغات أخرى بحكم المجاورة . وانا لا ارى وجهاً لدهشة احد الكتاب من أن «تنجس في عالم الصحراء الرتيب لغة كالعربية يقوم الخطاب فيها على المجاز ويتميز النص الذي يجسدها باتساع الفسحة وغنى الدلالة .»

وقد اعتاد مؤرخو اللغة العربية على اعتبار اللحن قريناً للاختلاط بغير العرب ، وهو سبب وجيه ، لكنه من الجهة الأخرى ضرورة حياة لم يكن مقدراً تفاديا حتى في مجتمع صيني .

ومما يلفت الانتباه ذلك الأمر الذي يقال ان عبد الملك بن مروان أصدره بالنهاي عن التكلم بالاعراب . وقد أورده أبو حيان التوحيدي في «البصائر والذخائر» ، ولعله ان يكون صادراً عن ابنه الوليد الذي عرف بكثرة اللحن . وبعض الروايات المنسوبة الى هذين الخليفين فيما يختص بشؤونهما أوصفتاهما الشخصية تخلصين اسميهما . ويلاحظ ان هذا الأمر يصدر متزامناً مع تعريب الادارة في الشام والعراق بعد ان كانت لغتها الرسمية هي اللاتينية في الشام والفارسية في العراق . وكان ذلك بقرار من عبد الملك . وكيف يجتمع الحماس لتعريب الادارة مع النهي عن الاعراب ، الجواب واضح ، وهو أن الاعراب ليس ركناً أساسياً في اللغة العربية . ويمكن القول هنا ان موقف القدماء من الاعراب - على الأقل في الطور السابق لظهور النحو - كان أكثر مرونة من موقف المعاصرين ، والقرآن من شواهد ذلك . ورغم قلة المواضع التي وردت فيها مخالفات اعرابية في كتاب العرب الأول فان ورودها فيه ينطوي بحذاته على دلالة مضادة لقدسية الاعراب التي يتشجع بها الاكليروس اللغوي في الوقت الحاضر .

ان الاعراب هو المشكلة الأساسية في لغتنا الحديثة فهو يضيف عبثاً زائداً على تعليم اللغة ينقل كاهل المتعلمين ، ويضيع عليهم في نفس الوقت امكانات الاتقان للغة القراءة والكتابة بعد مرحلة التعليم الأولية . وتشدد وطأة الاعراب في لغة التلاوة حيث نجد الاصطدام بفروض النحو المعرب يجعل العربي عاجزاً عن الالتقاء السليم واللبق حتى لما يكتبه بنفسه .

وقد لاحظت من متابعتي لنشأة عدد من الكتاب الشباب انهم تعلموا فن الكتابة بسهولة أكبر من تعلمهم فن القراءة - التلاوة . ويمكن الاستنتاج من المقارنة بين مهارات الكتاب والمذيعين ان القادرين على

الكتابة الصحيحة هم اكثر عدداً بما لا يقاس من القادرين على الانسياب في القراءة . ولا شك في ان القارئ في اية لغة قد يتعثر ، وليس كل ناطق بلغة يستطيع ان يكون مديعاً او خطيباً فيها . فلكل فن اهله ، لكنني رأيت المتعثرين في التلاوة من مديعي لندن العربية اكثر من المتعثرين بين مديعي لندن الانكليزية . وكلاهما من المتمرسين بهذا الفن . ولا شك ايضا في ان شطراً من السبب يرجع الى الخط العربي ، لا سيما وأن الوسائل الحديثة لا تهتم بالتشكيل في المواضيع الضرورية التي يخشى فيها الالتباس . لكن الاعراب مسئول هو الآخر . ولو اننا حررنا الناس منه لانطلقوا يقرأون دون خوف او ارهاب .

والكتابة العربية لا ترتفع ضرورة بالاعراب ، واتقانها سهل بدونه ، ويمكن لبسيط الموهبة ان يكتب في الموضوعات التي يتقنها دون أن يكون متقناً للاعراب . وبالعكس ، يمكن القول ان اتقان الاعراب والنحو لا يؤدي بالضرورة الى اتقان الكتابة . وخير مثال عليه تجربة عايشتها بحكم اشتغالي في الصين هي تجربة تعليم اللغة العربية في هذا البلد الذي يتوق الى التوسع في الدراسات العربية . ان المتعلمين الصينيين للغة العربية يفهمون النحو بمستوى يفضل فهم الكثير من الكتاب العرب . ويرجع هذا الى نوعية مناهج التدريس المطبقة في الصين وهي نفسها في العالم العربي ، والى نوعية اساتذتهم العرب المنحدرين اليهم من شعاب الاكليروس اللغوي . لكن القليل من هؤلاء المستعربين الصينيين من يقدر على التعبير عن افكاره كتابة او تكليماً . ان معظم سني الدراسة التي تتراوح بين ثلاثة وخمس سنوات في مؤسسات التعليم المختصة هنا مستهلك بدراسة النحو وفق الأصول الاكليروسية المضبوطة ، بما ينتهي الى تخريج حجاج في الاعراب لكنهم خرس في الكلام . واليك هذه الفقرة من رسالة كتبها الى احدى الطالبات الصينيات :

«اعمل الآن في خان ، لم اعمل بما درست في المعهد . واعمل عملاً عادياً . وقد ازدوجت وولدت بنتاً صغيرة . . . »

فهي لم ترتكب اي خطأ اعرابي مما اعتاد عليه الصحفيون عندنا ، لكنها لم تستطع التفريق بين الزواج والازدواج لأن اساتذتها لم يجدوا وقتاً لتعليمها اللغة على حساب النحو .

لعل الوقت قد حان الآن لعرض امثلة من المخالفات الاعرابية في النصوص القديمة ، ودلالاتها على امكان تخطي الاعراب دون الاخلال بمنطق اللغة واصولها . وسأبدأ بالأمثلة الحاصرة على المخالفات ثم اتدرج منها الى حالات من الاهمال التام للاعراب في لغة الكتابة ، ومنها الى استقراء لغة النصوص العامية التي تجمع بين منطق اللغة المكتوبة ولهجة لغة الكلام في محاولة لاستشراف افق اللغة الجديدة التي نطمح اليها .

في القرآن :

* ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى . .

قال : والصابئون وحكمها : والصابئين لأنها معطوف على اسم ان .

* لكن الراسخون في العلم منهم المؤمنون يؤمنون بما انزل عليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة . . .

نصب المقيمين وحكمها الرفع بالعطف على الراسخون .

* ان هذان لساحران .

وكان يجب ان يقول : ان هذين لساحران .

* انه من يتقي ويصبر

ابقى حرف العلة في يتقي رغم أنه مجزوم .

* ولما يأتيهم نبأ الذين من قبلهم .

ابقى حرف العلة في الفعل المعتل كما في المثال السابق . ويبدو انه لم يستسغ وصل الهاء بقاء مكسورة فابقى الياء لتسويغ اللفظ على شاكلة ما مر بنا في تاء الفاعل المؤنث .

امثلة من الشعر :

* من ارجوزة مشهورة للبيد العامري :

اليك جاوزنا بلاداً مَسْبُوعه
يُخْبِرُكَ عن هذا خبير فاسمعه

شاهدنا في الشطر الثاني حيث سكن الشاعر فعل المضارع (يُخْبِرُكَ)
وحقه الضم على الرفع . وحرك فعل الامر فاسمعه وحقه التسكين .
والعاميات المعاصرة بين تحري فعل الأمر المتصل بضمير الغائب المذكر فتحاً
كما فعل لبيد أو ضمّاً بنقل حركة الضمير اليه وتسكين الضمير .

* من شاهد أورده القالي في اماليه :

انا الذي يجدوني في صدورهم
لا ارتقى صدرّاً منها ولا أرد
جعل يجدون في حالة جزم وهو مرفوع .

* وفي هذا البيت المشهور ابقى الشاعر ياء المعتل رغم جزم الفعل :

الم يأتيك والأنباء تنمي
بما لاقت لبون بني زياد

ومن ارجوزة اوردها القالي في أماليه :

واهاً لريا ثم واهاً واها
يا ليت عيناها لنا وفاها

وحكم عيناها النصب لأنها اسم ليت . وقد رفعها الراجز دون
ضرورة لأن الوزن ينتظم في الحالتين .

ومن التسكين في موضع التحريك هذه الأرجوزة لأبو دجانة سيماك
بن خَرَشَة في معركة احد :

انا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
ان لا اقوم الدهر في الكبول اضرب بسيف الله والرسول
وحكم أضرب هو الرفع .

* ومن قصيدة لأبونواس :

قرأت كتاب الله تسعين مرة فلم أر فيه للشراب حدودا
فان شئت أن تجلد فدونك منكبا صبورا على ريب الزمان جليدا
وحكم تجلد هو النصب بأن .

* ومن شعر المتنبي :

بادِ هواك صبرت ام لم تصبرا
وبكاك ان لم يجر دمك أم جرى

فحرك تصير وهي مجزومة بلم . وقد عللها شراحه بأنه كان يقصد
تصبرن فحذف النون ومد فتحة الراء لتتفق مع القافية . وهو من تحكمات
الشراح الذين تعودوا على الاعتذار لمشروحاتهم حتى ينفوا عنها التهم .
وقد يصل التصرف العشوائي عند الشعراء الى ما فعله جرير في هذا
البيت :

اقلي اللوم عاذل والعتابن وقولي ان اصببت لقد أصابن
فتون العتاب وهو معرف بال لا يصح فيه التنوين واذاف النون الى
اصاب اعتباطاً .

وفي البيت التالي لأحد شعراء اليتيمة ابو محمد السلمي :

فلعنة الله ترى على كليله ودمنة

ازال الشاعر تاء كليله وادمجها في دمنة على سبيل الاصطلاح
المركب . ومن هذا الغرار ما قرأته في اوراق مخطوطة بمكتبة الامبروسيانا في
ميلانو بايطاليا :

يا سائلي عن بنات نعش وطالعها
في أشهر الروم هاك اسمع معانيها
حيث سكن بنات على سبيل الاصطلاح المركب ايضاً .

ومن التسكين الاعتباري هذا البيت من مقصورة صريع الدلاء
الساخرة :

من لم يُرد ان تنتقب نعاله يحملها في كفه اذا مشى
سكن تنتقب وحكمها النصب بأن .

وهذان البيتان رأيتهما على شاهد قبر عربي في الصين مؤرخ سنة
٧٠٢ للهجرة :

المهي عبدك العاصي اتاك
مقرأ بالذنوب وقد رجاكا
فان ترحم فانت لذاك أهل
وان تطرد فمن يرحم سواكا

سكنت يرحم وحققها الرفع لأنها مضارع لم يتصل بجازم .

في مراحل متأخرة نجد نصوصاً فصيحة غير معربة تشكل في حد
ذاتها تطوراً نحو الكتابة الخالية من الأعراب ، اي القرية من لغة
الكلام . ولدينا مثال هام جداً على هذا المنحى في ابيات للقطب الصوفي
عبد الغني النابلسي (القرن الثاني عشر هـ) رواها زكي مبارك في الجزء
الأول من «التصوف الاسلامي» :

يا أمة العشق فزتسم بالبصر والسمع
قوموا اتركوا الغرق عنكم واقبلوا للجمع
نور الشموع الذي يلمع عليكم لمع
من حرقة القلب قد ذابت دموع الشمع

وتتمثل في هذا النص الحلقة الوسيطة بين الكتابة العربية والكلام الدارج حيث تقطع لغة الكتابة شوطاً بعيداً في تقليص الفجوة بين اللهجتين . ان الفرق بين هذه المقطوعة من الفصح غير المعرب والشعر الشعبي المكتوب بعامية مفصحة هو فرق ضئيل كما يتضح من المقارنة مع المقطوعة التالية التي وجدتها في اوراق مخطوطة بمكتبة الامبروسيانا في ميلانو :

الزم باب ربك واترك كل دون
واسأله السلامة من دار الفتون
لا يضيق صدرك والعالم شئون
والله المقدر والحادث يهون

وهذا النمط من العامي المفصح او الفصح غير معرب يشيع حالياً في اليمن ويسمى بالشعر «الحميني» ومن امثله هذا البيت للقاضي عبد الرحمن الأنسي نقلته من كتاب «الأمثال اليمنية» لاسماعيل الأكوغ :

واذا الاصلُ مختل من وقت البنا
كيف يثبتُ على الأصلُ بنيانُ
لاحظ انه حين سكن الأصل حرك الصاد على الطريقة التي سبق شرحها في تحريك عين الثلاثي الساكن .

ونجد في العصر الحاضر امثلة على العامي المفصح في نتاج بعض الشعراء الشعبيين وهم فريقان ؛ مثقف يكتب الشعر العامي أو أُمِّي يكتب الشعر بلهجته القرية في اساسها من لغة الكتابة . مثال الأول احمد فؤاد نجم وعبود الكرخي . ومن احمد فؤاد نجم هذا النداء للشعوب المستضعفة :

خلاص ! خلاص !
ما فيش خلاص !
الا بالقنابل والرصاص

ومن عبود الكرخي هذا المقطع من قصيدة يهاجم فيها وزيراً اشترك
في الوزارة خلافاً لرغبة الحركة الوطنية في زمانه فوعد بالاستقالة ولم يف ؛
والكرخي شاعر عامي عراقي توفي عام ١٩٤٧ :

وعدتُنا من الوزارة تستقيل وعُدلت عنها لماذا يا محيل
ما تعرفني العلة والسبب هل حصل لك مبغض بعقلك لعب
والأصح بانواط غشواك وذهب عقلك وظليت داينخ كالهليل

والفردات هنا كلها فصيحة ما عدا انواط المأخوذة من الانكليزية
لأوراق البنكنوت . اما تلفظها فيمكن ان يتفاوت حسب اختلاف
اللهجات من غير ان يكون هذا التفاوت حائلاً دون فهمها .

ومن العامي الذي يصدر عن لهجة مفصحة اصلاً هذا الموال من
اللاذقية :

علامك يا بحر حطيت فينا
شمت العدا والناس فينا
حطيتنا بمركب وسار فينا
من كثر الأمواج نسيّتنا الأحباب

والنص واضح وفصيح في جملته .
وهذه المقطوعة لشاعر من القرن التاسع عشر من اهل جنوب العراق
يمدح فيها احدى العشائر :

يا راكباً من فوك تلعة من الأبكار
هجهوجة تنمي سليل النعامات
اكصد لعند بيت الصخا والمروات
اولاد حمير كلهم منوة الجار

تلعة : اصلها ما ارتفع من الأرض ، وهنا كناية عن الابل .
الابكار : الابل الفتية .

هجهوجة : اصلها هجهاجة وهي الابل الشديدة الهديرة .
المنوة : المنية ، الامل ، فصيحة ..

وهذه الأبيات لشاعرة من جنوب العراق ايضاً تدعى دَنَّة الساعدية
تحمس قومها على الحرب وتشيد بقائدهم ابو مهور :

كُوم وشد لبو مهور على حصانهُ
يا حر الكبير ال خَزَل العانه
من كُثر الطبرُ يمناه خدرانه
وسيوْفه بالجماجمُ اُبد مثنيّه

لاحظ هنا : لفظ القاف كما في النص السابق ، على لهجة حمير
وتميم ، حذف الهمزة من ابو . اختزال اسم الموصول الى ال ، وتحريك
باء طبر على الطريقة التي مر شرحها . وما يبدو من عناصر العامية الصرفة
تسكين اوائل بعض الكلمات : حصان . سيوف .. اما المفردات غير
المفهومة في النص فهي مفردات قاموسية غير متداولة في لغة الكتابة الحديثة
ونادرة في القديمة ، ولكنها معروفة في عامية الجنوب . فقولها : خزل يعني
عوق ومنع ، والعانة هي قطع حيوانات البر كالظباء وحمير الوحش . تريد
الشاعرة من هذا البيت ، ذو البنية الجاهلية ، ان حرارة الثأر والخصومة قد
شلت هذه الحيوانات المعروفة بسرعة الجري .

وقد سلفت في النثر العربي سوابق انضوت على حالات من الدمج بين العامي والفصيح في المفردات والتراكيب . ومنها «الف ليلة وليلة» المكتوب بلغة بسيطة عفوية قريبة من لغة الكلام رغم التزامها بالحرفي بالنحو المعرب . ولنقرأ هذه العبارة في حديث التاجر عبد الرحمن مع ابنه قمر الزمان عن زواجه بامرأة خانت زوجها معه^(١) :

« ان تزوجت بها اكون برياً منك في الدنيا والآخرة واغضب عليك غضباً شديداً . كيف تتزوج بها وهي عملت هذه الفعال مع زوجها ؛ وكما عملتها مع زوجها على شأنك تعمل مثلها على شأن غيرك فانها خائنة والخائن ليس له أمان . »

ولو اردنا ان نكتب هذه النص بعامية مفصحة فسيكون الفارق ضئيلاً : « اذا تزوجتها اكون بري منك في الدنيا والآخرة ، واغضب عليك غضب شديد . كيف تتزوجها وهي عملت هذي الفعال مع زوجها ؟ ومثلما عملتها مع زوجها على شأنك تعمل مثلها على شأن غيرك . فهي خائنة والخائن ما له امان » .

ولنقرأ هذه العبارات :

« . . فوالله يا اخواني ما لحقت أن تصل الى رأس الزقاق الا والباب قد فتح » .

في بعض العاميات المعاصرة بنفس المعنى .
قم اطلع الى هذه الطبقة

في سوريا بمعنى اصعد ، متعددة بحرف الجر

ليلة ٣٢٠

الليلة ٣٢٨

(١) الليلة ٩٧٦ .

.. وحط البنج في الطعام حتى تبنج الكلاب والعبيد ودليلة وابنتها زينب . ثم اطلع القصر وانت بجميع الثياب منه^(١) .

الليلة ٧٢١

الأولى مشتركة في العاميات والثانية في سوريا متعددة بنفسها .. والله يا سيدي عمري ما دخلت هذه الديار

في معظم اللهجات . الليلة ١٥٨

.. ثم اخذت القماش وهي باهتة من حسنه وجماله

في العراقية بنفس المعنى ١٥٨

. وصار الوقاد يفسخ له من ذلك الدجاج ويطعمه .

في العراقية : يفصخ الليلة ٦٩

ونجد مثلاً آخر في «منامات الوهراني» ، القرن السادس الهجري ، وهو كاتب يتمتع بحس شعبي انعكس في لغته التي احتوت على عناصر عامية في بعض تراكييها ومفرداتها ، مع نزوع قاصد الى نقد الحذلقه والتعمر عند الكتاب المتفاصحين . ولو ان براعته الأدبية اضفت على كتاباته لوناً بلاغياً متميزاً «عن» الف ليلة وليلة» ومتأثراً بلغة المقامات . ولنقرأ هذه الفقرات منه :

١ - انا رايع اردھا عليه . ص ٣٥

٢ - يا غلام اغسل حلق القوم من ذكر الوهراني . ص ١٧٠ .

٣ - والله ما يقدر ابن البيساني يلوك من هذا كلمة . وما العجب الا من استكتبه وتركك بطالاً - ص ١٧١ .

٤ - ستين سنة لي اتعب عليه الى ان جاء هكذا - ص ٨ .

٥ - كأنما وقعت في بئر لم يظهر لها حس ولا خبر الا على المساخر والقوادين - ص ١٨٧ .

(١) يزعم المؤرخون الامريكان ان التخذير اخترع في الولايات المتحدة عام ١٨٤٢ وهذا النص من الف ليلة وليلة ، يخالف تزمينهم للاختراع .

العبارة الأولى تركيب عامي يستعمل في معنى الاستقبال . ومنه اتخذت معظم العاميات المعاصرة اصطلاح «راح» بمعنى «سوف» . وفي الثانية استعمل حلق ، جمع حلق ، بمعنى فم وهو توليد عامي لأن الحلق في الفصحح هو مجرى النَّفس وفي الثالثة نجد المظاهر العامية التالية : اداة النفي ما التي تكثر في العاميات وتقل في لغة الكتابة . حذف ان المصدرية بعد الفعل يقدر . الفعل : يلوك الذي يكثر في العامية العراقية بدل يعضغ . وكلمة بطال اي عاطل وهو توليد معنوي لأن الفصحح مبالغة من الباطل . وفي العبارة الرابعة تركيب عامي «ستين سنة لي اتعب عليه» اما في الخامسة فوردت «حسن» بمعنى صوت وهو عامي^(١) .

ولدينا تطبيقات للدمج بين العامي والفصحح في مصادر اقدم ترقى الى الجاحظ الذي ضمن كتابه «البخلاء» مفردات عامية استقاها من بيئته البصرية - البغدادية . والأهم منها دعوته الى كتابة الحوار بحسب ما ينطقه المتحاورون ، وقد طبقها في «البخلاء» ، ولو أن ما تبقى من تطبيقاته في النسخ التي وصلت الينا هو قليل ، فلعل النساخ قد تلاعبوا به على مر العصور واصلحوا ، كما يبدو ، ما اعتبروه سهواً من المؤلف ! ولدينا مع عمال المطابع تجارب مماثلة . . وقد اشرت من قبل الى «نشوار المحاضرة» للتونخي . ولنقرأ أخيراً هذه الرواية لابن شاکر الكتبي في «عيون التواريخ» - القرن الثامن الهجري :

«في منتصف جمادى الآخرة وصل الخبر من مصر ان امرأة عجوز من الحسينية تجيب شباب الى امرأتين عندها وعندها رجال يقتلوهم ويعطوهم لوقاد الحمام يحرقهم في الاتون بالليل واذا اجتمع عندهم خمسة أو ستة ودوهم الى ملاح مقابلهم في النيل فيغرقهم في البحر»^(٢) .

(١) انظر : منامات الوهراني ومقاماته ورسائله تحم . ابراهيم شعلان وعبد نفش باشراف عبد العزيز الأهواني . القاهرة ١٩٦٨ .

(٢) ج . ٢٠ ص ٢٩٣ . ط بغداد

شواهدنا هنا : تسكين «عجوز» وحكمها الفتح لأنها نعت لأسم
ان .

تحيب : تجلب اختزال قديم من : تحيء
تسكين «شباب» وحكمها النصب على المفعولية .
حذف النون من «يقتلوهم ويعطوهم وهما مضارع مرفوع
بأثاته ..

ودوهم : أدوهم ، بمعنى ارسلوهم . ابدال الهمزة واواً .
البحر: يقصد به نهر النيل ، تسمية شائعة في مصر ، ومنها الأغنية
المعروفة : «يا مسافر على بحر النيل» وقد اجاز اللغويون هذه التسمية
استناداً الى الآية : «وما يستوي البحرين ..» ولم يوفقوا لأن الاسم هنا
ورد على سبيل التغليب لغرض بلاغي . وتسمية النهر بحرأ لا تصح لأنها
مخلة بلغة الاصطلاح .

يقول الاستاذ محمود تيمور : «هذا الذي نجده من ظواهر العامية
ونسمة فوارق بينها وبين الفصحى ليس في الحق فوارق بينها وبين
العربية ، وربما كان من الانصاف ان نسميها موافقات . ونحن اذا
سميناها فوارق فلأننا نلاحظ انها تفرق بينها وبين لغة الكتابة والتدوين ، لا
بينها وبين العربية في معناها العام وفي شمولها لما جرى على السنة العرب
من لغات ولهجات (١) ...

وقد نظر بعض اللغويين القدماء الى اللهجات على انها اجزاء
متكاملة من بنية اللغة العربية . وعلى هذا الاساس كانت القراءات السبعة
او العشرة للقرآن اعترافاً «رسمياً» بوجود لهجات تختلف عن الاطار المعلوم
للغة الكتابة . ويبدو ان بعض اللغويين ، لا سيما محدثيهم ، قد فهموا

(١) مشكلات اللغة العربية ص ١٧٦ .

مبدأ وحدة اللغة على انها وحدة القواعد النحوية التي استقرت في كتب النحاة ، فسيجوها بأسوار تحميها من لغة الكلام الساكنة ، وانتهوا من ثم الى خلق عالمين لغويين منفصلين لا يؤمنان حتى بالتعايش السلمي ! وقد انتبه الخليل في وقت مبكر الى هذه اللعبة فحذر من التزمّت في مسألة اللحن (الخطأ النحوي) ووضح ان لغة العرب اكثر من ان يلحف فيها احد .

لكن عقلية الخليل المتنورة لم تجد الا القليل من الورثة . على ان فريقاً من اهل اللغة لم يفهمهم ، وقد اتضحت امامهم آفاق اللغة العربية الأكثر شمولاً ، ان يجعلوا القياس على اللهجات كالمقياس على اللغة المكتوبة صحيحاً ومقبولاً . ورغم الأهمية الكبرى لمبدأ وحدة اللسان فان هذه الوحدة لا يمكن تصورها ، في الحق ، الا من خلال الشمول الذي تنضوي تحته لغتا الكتابة والكلام دون تفريق بين لهجات المتكلمين الا في نطاق العمل المعجمي القائم على الانتقاء . ولقد اتضح لنا حتى الآن ان الفواصل بين لغة الكتابة ولغة الكلام والفوارق بين اللهجات هي اضيق بكثير مما وضعه الاكديروس اللغوي اتكالاً على جهل الغير بتاريخ اللغة .

ومع اننا لا نطمح بالدمج الكامل بين لغة الكتابة ولغة الكلام ، ولا بين سائر اللهجات ، ما دامت الحياة ترسم باستمرار حدوداً للمنطوق والمكتوب لا يمكن عبورها في اية لغة ، وما دامت اللهجات امراً طبيعياً في اللغات الكبرى ، لكننا نجد في الحقائق - الاسرار ، التي وقفنا عليها من الرجوع الى تاريخ اللغة ما يمكن ان يمهّد لنا سبيلاً لا حلاً للعمل على ايجاد شكل من التكامل اللغوي يضم المنطوق والمكتوب من اللغة ويضع العلاقة بينهما في نصاب جديد يقوم على الأخذ المتبادل . وسيتيح لنا ذلك السعي لتقليص الهوة بين اللهجتين الى الحد المعقول الذي نجده في معظم اللغات الحية بالاتكال على سيرورة متقابلة تشتمل على جزئين متكاملين : تفصيح العامي وتبسيط الفصح .

ومثل هذه السيرة جارية الآن في حدود معلومة يعكسها في المقام الأول تطور العامية بالتدريج نحو التفصيح بمستويات يمكن ان ننبئها من المقارنة بين عامية الجيل الماضي وعامية الجيل الحاضر في البلدان العربية المختلفة ، وذلك بعد ان اتسعت رقعة الثقافة وهيأت للفصيح من زخم الاستعمال والشيوع ما ضاعف من تأثيره على لغة الكلام . وهو تطور لا يحصى عنه في عصر تغدو الثقافة فيه زاداً يومياً للجمهور . وقد لاحظ لغوي انكليزي : «اننا في هذه الأيام اشد خضوعاً في كلامنا للضغط المتواصل من الثقافة مما كان عليه المواطن الوسط في روما»^(١) ويصدق هذا على العلاقة بين المنطوق والمكتوب في اي لغة معاصرة .

لكن الهوة بين اللهجتين يجب ان لا تترك للتطور العفوي ، لسبب بسيط وهو ان العامية مهما تطورت تحت تأثير الفصحى فانها لن تصل الى حد الاتحاد في كتاب النحو المعرب ، مما سيفرض علينا اعادة النظر في علم النحو العربي استناداً الى السوابق والجذور التي استعرضناها آنفاً ، واستجابة لحاجات العصر الحاضر . ولا يعني هذا اهمال دراسة الأصول العامة للغة الكتابة لأنها لا تؤخذ بالسليقة شأن لغة الكلام ففي اية لغة يتجاوز اهلها طور الثقافة الشفوية لغة كتابة يحتاج من يمارسها الى تعلمها . والمنطوق ليس هو اللغة كلها بل نسبة معلومة منها ، والا لما وضعت المعاجم ، والعبارة المكتوبة ليست مهما تقاربت اللغتان كالعبارة المنطوقة ؛ والا لما دُرست اللغات الوطنية واكتفى الناس بما يأخذونه من آبائهم ومحيطهم .

ويمكننا ، الآن ، استشراف لغة عربية متكاملة : نحواً وقاموساً تميل في الجانب الأول الى التخلص من الاعراب فيلتقي طرفاها ، المكتوب والمنطوق ، في وحدة شمولية تتأكد بالتقنين الواعي وتراعى فيها الفروق

(١) انظر W.D.ELCOCK, THE ROMANCE LANGUAGES LONDON: 1959, p. 20

الطبيعية بين شطريها . وتنزع في الثاني الى استيعاب مجمل القاموس الكلاسيكي الموزع الآن بين لغتي الكتابة والكلام . ولعلنا نستطيع تحقيق هذه السيرة عبر المطالب العملية الآتية :

١ - التخفيف من قيود الاعراب في لغة البحث العلمي والفكري والفلسفي ، والاكتفاء منه بما يلزم لضبط الفكرة والامن من الالتباس .
٢ - تخفيفه ، او اهماله ، في اللغة العامة ، لغة الاذاعة والصحافة والادب والسياسة - عدا الشعر الذي يقبل الخيارين بطبيعته : خيار الاعراب في الأوزان التي لا تستقيم بدونه ، وخيار التسكين في الأوزان التي يمكنها الاستغناء عن الاعراب على النحو الذي رأيناه في شعر النابلسي .

٣ - ادخال الصيغ العامة في لغة الحوار القصصي والمسرحي ، والى حدود معينة في اللغة العامة . ويمتد ذلك الى : أدوات الاستفهام ، أدوات الاستمرار ، أدوات الاستقبال ، العبارات الاصطلاحية ، واسماء الاشارة والموصول . هذا مع مراعاة مدى انتشار النص ، فالكتاب على نطاق محلي محدود يستطيع التصرف في الصيغ الشائعة في محيطه الخاص ، كما يفعل الشعراء العاميون في المعتاد ، وما هو متبع أيضاً في البلدان ذات اللهجات المتباعدة كالصين . لكن النص المكتوب لينشر على نطاق عام لا بد فيه من مراعاة الصيغ الأكثر اشتراكاً . ويمكنني القول هنا بصلاحية استعمال صيغ عامة فصيحة المبنى تشمل : أداة الاستقبال راح الى جانب سوف . ال والي المختزلين من اسم الموصول ، الى جانب أصله الكامل الحروف . ذول وذولا وهاذول - أصلية أو مبدلة - ، ها مختزل اسم الاشارة عند الاتصال باسم معرف بال . أدوات الاستفهام : ايش ، اش ، ليش ، عlish ، اي حين ، كيف وكيفك ، كم وبكم ، ما هو ، قدايش ، وين . فين .

اما أدوات الاستمرار فأصلحها عندي للشيوخ هي الباء لأنها متداولة في دائرة واسعة تضم كما رأينا سوريا الطبيعية ومصر واليمن وبعض الحجاز . وهي بهذا الشمول تؤكد عراقتها في اللغة . . اما الدال والقاف

العراقيتين فعندي أن أصلهما أصلح للعبارة في حالة الاستمرار ، وقد مر بنا أن قاعد ما تزال متداولة في لغة الكلام العراقية . ولا ننس أن الاستكثار من الصيغ المختزلة في الكتابة ليس ضرورياً فالاختزال في جوهره حاجة كلامية لا كتابية .

ويمكن استعمال أدوات التملك الفصيحة دون أي اشكال فنقول : هذا الكتاب تبغ فلان . هذا الكتاب مال فلان ، هذا الكتاب حق فلان . . فلا تأتي ببدعة ولا نقول أمراً غير مفهوم . والاشكال في بتاع لانها بعيدة نسبياً عن أصلها . ومع ذلك فالمفردات المصرية تمتلك من حق الشبوع ما ليس لغيرها ، لأنها معروفة خارج مصر بفضل انتشار السينما والغناء المصريين وانفرادهما تقريباً بالساحة العربية ، ولانها أيضاً منطوقة لدى أكبر الشعوب العربية نفوساً . ولا تصلح ديال المغربية للتعميم لأنها أجنبية ومحدودة . والمغاربة كما ذكرنا يعرفون بتاع وينطقونها .

٤ - يجب أن يباح للكتاب استعادة المفردات العامية الموجودة في القاموس ، والمهمة في لغة الكتابة ، اذ لا يجوز اعتبارها مفردات ميتة بينما هي منطوقة الآن . كما يجب أن تباح المفردات العامية المشتقة أو المولدة . وسنستعرض في الفصل التالي أحوال هذه المفردات وغيرها من قاموس العامي وكيفية معاملتها في لغة الكتابة .

قاموس العامي

أصدر مجمع اللغة في القاهرة - وهو أعلى المجامع العربية شأنًا - قراراً ينص على «تحرير السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع كالحدايد والنجارين والبنائين وغيرهم من أرباب الحرف والصناعات» ويعني هذا القرار فيما يعني مساواة ما يسمع من عامة اليوم بما كان يسمع من الاعراب أو يؤخذ من أقوال الجاهليين ، ولا بد أن يتضمن ، بدوره ، فتح باب المصالحة بين المنطوق والمكتوب في لغتنا ، ذلك الباب الذي سكره اللغويون منذ قرون طوال .

ان سيرة الاصلاح اللغوي تقتضي شكلاً جديداً من التعامل مع «قاموس» العامي يستند الى اقرار المجمع الذي يجب ان لا يبقى حبراً على ورق . وفيما يلي أفكار مقترحة لتطبيق هذا القرار تستند اليه وتستوحي في نفس الوقت منطلقات الاستاذين محمود تيمور و ابراهيم أنيس في مؤلفاتهما التي ذكرتها آنفاً . .

١ - ان الجزء الأكبر من قاموس العامية يتألف من المفردات الفصيحة لفظاً ومعنى . وينقسم هذا القطاع الى شطرين : مفردات شائعة في لغة الكتابة ، قاموسية أو مولدة ، ومفردات غير شائعة في لغة الكتابة لكنها فصيحة بين قاموسية أو مولدة . ولا نجد حاجة للتمثيل للشطر الأول لانه يشكل مجمل القاموس المشترك بين اللهجتين ، وسنمثل للشطر الثاني رغم كثرته أيضاً لان معظم الناس لم يتعودوا على اعتباره من الفصح نظرًا لاقتصار تداوله عن لغة الكلام .

- سراج : للمصباح . في العاميتين اليمنية والعراقية .
- زول : الشخص ، في العامية السودانية .
- زراي : السجاد . جزائرية ، من ألفاظ القرآن .

فَلَج : للنهر الصغير . في عامية الخليج وعمان .
يسكر : يغلق . في المصرية والسورية . وهو من الفاظ القرآن .
وَذَرَة : للقطعة الصغيرة من الشيء . في العراقية .
الخابية : للجرة في المغربية والسورية .

وهذه مفردات قاموسية بحته بعضها مفقود في لغة الكتاب القديمة والحديثة وبعضها مفقود في الحديثة دون القديمة . وتداول الموجود في القديمة فقط قد يرجع الى ظاهرة تأثر المنطوق بالمكتوب ولو أن هذه الظاهرة كانت محدودة جداً في أوان السقوط الحضاري . اما المفقود في القديمة والحديثة معاً ، ومنه «زوال» السودانية فإن تداوله في العامية المعاصرة يدل على انه كان متداولاً في لغة الكلام قديماً واستمر متوارثاً ، اذ لا يعقل ان العامة اخذته من القاموس . ويمكن ان نفترض للمفردة الشائعة في لهجة واحدة معاصرة انها كانت في لهجة احدى القبائل المقيمة في ذلك البلد ولم تصل الى لغة الكتابة في أوانها .

ويسعنا ايضاً افتراض وضع مماثل لمفردات فصيحة المخارج والبناء وردت في العاميات ولم ترد لافي لغة الكتابة ولا في القواميس . فلعلها من المتداول قديماً على الألسنة ولم يصل اليه استقصاء اللغويين الذين دونوا اللغة . من هذه المفردات :

يشحط : بمعنى يسحب الشيء على الأرض . في السورية والعراقية . وهي موجودة في المعاجم بمعاني لاعلاقة لها البتة بهذا المعنى .
ييعمز : (جيم قاهرية) لفظة ليبية تعني يقعد . لم أجد لها في المعاجم وهي فصيحة البناء .

يشخط : عراقية . بمعنى يخط على الشيء بصوت مسموع . ومنها الشخاط لعود الثقاب لأنه يُشخط على جانب العلبة المطلي بالكبريت حتى يتقد .

اما المفردات ذات المعاني المولدة^(١) . فمنها .
 شقفة : اصلها كسرة الخزف . ثم شملت في عامية مصر وسوريا
 كل كسرة او قطعة دون تخصيص .
 عبيط : معتوه . مصرية . وللعبيط في القاموس معاني مختلفة تلتقي
 حول مفهوم الفوضوي والغير مكترث . ومنها الاعتبار ضد الرقة وعدم
 الانضباط والانتظام .
 سمح وسمحة : للشيء الجميل . سودانية . والقرينة واضحة .
 جَحْمَة : للجزء المتنفخ ، المفلطح ، من القارورة او القينة .
 «عينية» اصلها في القاموس «العين» ولشاعر قديم يدعى خنافر
 الحميري :

● وكشّف لي عن جحمتي عماهما ●

قرينة التوليد تفلطح حجر العين واتصافه بصفة الوعاء . وزبما
 كشف المزيد من تأثيلها انها كانت تختص بالمحجر دون العين ، بحكم
 قرينتها العامية .

التحييد : الازاحة . مغربية . وفي لغة الكتابة الحديثة : جعل
 الشيء محايداً . واصله في القاموس . حاد عن الشيء اي آمال عنه ، وهو
 قرينة الازاحة في المغربية . واشتقاق تحييد في لغة الكتابة من المحايدة اي
 المجانبية مما يلحق بنفس النمط مفردات وردت في لغة الكتابة بمعنى مجازي
 وبقيت في العامية بمعناها القاموسي . من امثلتها : بسالة في لغة الكتابة
 بمعنى الشجاعة وفي العامية المغربية بمعنى الكراهية ، وهو معناها
 القاموسي .

(١) يجب ان لا يغيب عنا ان المولد العامي قد يكون اصلياً . اذ لا يمكن القول ان
 اللغويين القدماء قد استطاعوا الوصول الى كل المفردات المتداولة في لغة الكلام آنذاك .
 أو أنهم استفصوا كل معانيها في اللهجات . وقد وردت روايات تفيد أنهم تحاشوا الاخذ
 من القبائل التي كانت ضمن حدود العراق أو الشام متاخة للاعاجم لاحتمال فساد لغاتها
 على حد زعمهم .

موقفنا من هذا النمط من المفردات^(١)

٢ - المفردات القاموسية مبني ومعنى تدرج في المعجم سواء منها ما هو في لغة الكتابة ام ليس فيها . ويدخل في هذا العدد المفردات الفصيحة البناء التي لا اصل لها في القاموس ولم ترد في لغة الكتابة . وبالطبع فإن ادراجها في المعجم يعني إباحتها في لغة الكتابة .

ب - المفردات القاموسية ذات المعنى المولد تدرج بمعانيها المولدة اذا كانت معانيها القاموسية غير معروفة ، وبكليهما اذا كانا معروفين وكان الفارق بينهما قائماً على قرينة مجازية .

٢ - هناك مفردات محورة عن اصلها القاموسي مع بقاء معناها . وهذه بعض الامثلة منها :

خنغر : عكس مغربي للفعل الفصيح فنخر اي تكلم بأنفه . وقد تحدثنا عن القلب في اللغة .

شلة : سورية بمعنى الجماعة او الرهط . اصلها القاموسي : ثلة : وهي من الفاظ القرآن : ثلة من الاولين وثلة من الآخرين . وتدخل في باب الابدال . ولو أن الابدال من الثاء الى الشين نادر ، فلعله تصحيف وليس ابدالاً في الأصل .

جَدَع : غلام . مصرية . اصلها بالذال . وفي الرجز القديم :
ياليتني فيها جذع
اخب فيها واقع
يتمنى لو انه كان غلاماً يوم قامت الحرب .
وهي في المصرية من باب الابدال .

(١) الآراء التي سنسجلها بصدد المعجمة هنا تستند كما قلنا على قرار مجمع اللغة في القاهرة ، ومنطلقات الاستاذين محمود تيمور وابراهيم أنس في كتبهما التي المعنا اليها في المفاصل السابقة . وآمل ان يأخذها القارئ على هذا الأساس ، اي بصفتها حصيلة جهود مشتركة قد لا يكون لي فيها غير تعيين وتحديد اطرافها العبي -
التطبيقي .

والرأي في هذه المفردات ان تضاف الى القاموس في موضعها مقيدة بنفس معانيها مع الاشارة الى طبيعتها . مقلوب او مبدل . ويعتبر ورودها في القاموس من قبيل المرادف او اللهجة على النحو الذي قيدت به القواميس القديمة امثالها . مع ملاحظة ان بعض هذه المفردات قد تلبس بغيرها نتيجة القلب او الابدال مثل شلة اذا جمعت التبس جمعها مع لفظ المرض المعروف (شلل) . وعلى الكتاب اختيار انسب الصيغ منها .

٣ - وجود صيغ مشتقة حسب اصول الصرف في معاني مرادفة للفصيح . مثالها :

وجعان : مريض في العامية العراقية . اشتقاقها من الوجع على زنة فعالان

مريضان : مريض في العامية السورية . اشتقاقها من المرض على نفس الوزن السابق .

عاجف : هزيل . مغربية . أصلها الفصيح : عجيف وأعجف والاشتقاق المغربي على زنة اسم الفاعل .
وهذه الاشتقاقات فصيحة كلها فتضاف الى القاموس كمترادفات للمشتقات القديمة .

٤ - وجود صيغ مشتقة حسب اصول الصرف في معاني مولدة .
ومن هذا القبيل :

باهي : جيد . ليبية . اشتقاقها من البهاء . وقرينة التوليد واضحة . زنة اسم الفاعل .

ولدنة : في العامية السورية بمعنى الخفة والطيش . اشتقاقها من الولد . زنة فعلنة

رهاوة : اشتقاق عراقي من الرهو والراهي اي الواسع . وتعني هنا السعة والتمكن . زنة فعالة .

وتضاف هذه المفردات الى القاموس في معانيها المولدة كمفردات جديدة ذات دلالات مستقلة او مرادفة بحسب معانيها .

٥ - وجود مفردات محرفة عن لفظها تحريفاً يجعلها اسوغ من الفصح او يعطيها دلالة متميزة عن لفظ اخر مشارك في البناء او يولد منها معنى جديداً . ومن امثلة هذه :

الضينء : النسل والاولاد . شائع في العاميات المعاصرة بالصيغ التالية : الضنا : في المصرية والسورية والعراقية .
اصله بفتح اوله وكسره ويغلب الفتح على العاميات لانه اغلب في القاموس .

الضنايا : في لهجة زغير والشاوية (البربرية) في المغرب . ويقال للذرية .

ان بناء ضنا وضنايا اسوغ لفظاً من ضنء لانها عسيرة النطق . لكن لفظة ضنا ملتبسة لانها تتجانس مع الضنى وهو المرض . واذكر اني حين كنت في صباي اسمع الام المصرية في الافلام تنادي ولدها يا ضناي احسبها تقول : يا عذاي ! ومن المفضل مع خوف الالتباس ان يقتصر على صيغة الجمع المغربية كمرادف للذرية والنسل لانها أكثر تميزاً .

مصران ومصارين :

هي الامعاء . في الفصح : مصير للمفرد ومصران ومصارين للجمع . لكن العامة جعلت مصران للمفرد وجمعه على مصارين فتخلصت من تجانس المفرد والفصح مع كلمة المصير المعروفة . وصارت للاصطلاح دلالة متميزة على معناه . وينبغي عندئذ استبعاد المفرد الفصح حتى يستغل ويتخصص بدلالته المعروفة ، ويثبت التوليد العامي بدلاً منه .

موسى وموس :

لشفرة الحلاقة . لفظه الفصح موسى فحوره العامة الى موس وجمعه على امواس . ويرجع هذا التحوير الى العصور الاسلامية اذ ورد في

عامية الاندلس وذكره الزبيدي في «لحن العامة» واستشهد عليه بمثال من الشعر :^(١)

برئت من نجمٍ ومن فلوسه وحلقه لحيته بموسه
والتحوير هنا ابداعي لانه اعطى المفردة دلالة مستقلة عن اسم العلم
الشائع . ويجب اثباته في المعجم بلفظه العامي دون الفصيح .

العُقي والعُق :

هو ما يخرج من بطن الوليد . حور في العامية اليمنية الى عُق وهو
اسهل لفظاً من عقي وينبغي اثباته في المعجم بدلاً او مع الاصل .

كُلوة وكُلّية :

اوردهما الخيروز ابادي . وهي في العامية بالواو ، منذ الاندلس ،
ويردها بعض اللغويين الى لهجة يمنية قديمة . والكُلوة افضل من الكلّية
التي تلبس باصطلاح جديد شائع في لغتي الكتابة والكلام هو الكُلّية
للمدرسة العليا .

لحاف وملحف : في القاموس يوجد لحاف فقط للغطاء المعروف
ثم اشتق منه العراقيون : ملحف وجعلوه لاغطية الاطفال .
واختصوا اللحاف باغطية الكبار . وهذا الاشتقاق ادى الى خلق كلمة
جديدة فيجب اضافتها الى القاموس .

السِّلَف والسِّلَف : السلف هو اخ الزوج وزوج اخت الزوجة
المعروف ايضا بالعدل . في لهجة سوريا بمعناه القاموسي وأحد لفظية
القاموسين (سِلَف) وفي المغربية سليف باشباع كسرة اللام في لفظه القاموسي
الآخر (سِلَف) . والتحوير المغربي افضل لانه اعطى المفردة دلالة مستقلة
تجنبها الاشتراك في الخط مع السِّلَف . وفي مثل هذه الحالة ارى ان تثبت
المفردة في لفظها الفصيح والمغربي لترك الخيار فيها للكتاب .

٦ - الحالات التي مرت تصلح كلها للقاموس ، وبالتالي للغة الكتابة . وهي تشكل القطاع الذي يجب دمج من قاموس العامي بقاموس الفصحح على أساس الانتقاء الواعي للمفردات الصالحة في القاموسين . وسنعمل في المعجم على استبعاد جملة من مفردات القاموسين لعدم صلاحهما . ومادامنا في صدد القاموس العامي فاني ذاكر هذه الامثلة من المفردات العامية الغير صالحة لاعطاء فكرة عن معيارنا لعدم الصلاح في هذا الصدد :

القش : له معنى معروف في الفصحح والدارج على السواء . لكن المصريين استعملوه للدلالة على الكوئل - مؤخر السفينة . وهو اصطلاح مرفوض ؛ لاختلاطه اولاً بمفهوم القش الشائع ولعدم دلالة الدقيقة على الشيء الموصوف به ثانياً ولوجود مرادفات علمية دقيقة له ثالثاً .

سايح : بمعنى ذائب في العراقية والمصرية . وهو ملتبس بمفهوم السياحة الكثير الشبوع حالياً فيجب إهماله ، ولو أنه فصحح الاصل . ويمكن مع ذلك الاستفادة من مصدره المشتق تسييح الدال على عملية الازابة لانه مستقل في الدلالة ويضيف مفردة جديدة الى قاموس الكيمياء الذي تتسع الحاجة اليه من يوم ليوم .

جاهل : بمعنى طفل في عامية العراق والخليج ويجمع على جَهايل . وهو لفظ ملتبس وسخيف يعكس تحلف البيئة التي نشأت فيها العاميات ، هذا فضلاً عن تجانسه مع المفهوم المضاد للعقل ، مع عدم دلالة الضرورية على الطفولة التي توصف عادة بالبراءة وليس بالجهل .

سبع : بمعنى الاسد في المصرية والعراقية . وهو في الفصحح كل حيوان مفترس ، مقابل Beast الانكليزية . وتخصيصه بالاسد في العامية افقار للغة الاصطلاح ، مع ما للاسد من اسماء تغنيه عن هذه الاضافة ! وقد ادى جهل الكتاب المعاصرين بهذا الاصطلاح الى استعمال «حيوان مفترس» في معناه مع وجود المفردة الدالة عليه حصراً . والاصطلاح في موسوعة ادورد غالب مقابل اللفظة الانكليزية .

يلحق بهذا النمط بعض المفردات المقلوبة بشكل مثير للالتباس والتجانس مثل جواز مقلوب زواج . وقد مرت بنا . أو لفظة مستكرهة مثل مجموز عكس مزعوج عند الدمشقيين أو بعضهم .

يشمل المرفوض من العامي الى جانب النمط الأنف تلك المفردات والكتابات التي تتعدد داخل البلد الواحد لان معجمتها تزيد من حالة البلبلة اللغوية التي تستهدف ضبطها في عملنا المعجمي . وقد حدث الكثير من هذا التعدد في آونات التحلل الحضاري حيث انكششت المعاصر عن بعضها وانعزلت بتأثير الركود الشامل وتحلف وسائل الاتصال والمواصلات . ويكفي النظر في هذا المثال من اليمن حتى نعرف مبدى التشويش الحاصل هنا حيث نقرأ الصيغ التالية للسؤال عن السبب (لماذا) .

لمه : في صنعاء

ليش : في عدن

لماه : في بعض نواحي الشمال

لاه : في يريم

ليش : في ذمار

لمه : في إب

لموه : في تعز والحجرية .

وتعتبر هذه المترادفات الزائدة عن الحد لهجات محلية صرفة تترك للغة الكلام التي ستصقلها وتوحدها بمرور الزمن ، ومع التقدم نحو التفصيح .

٧ - تخضع المفردات الدخيلة في العامية لنفس الغرلة فيستفاد من الصالح ويهمل غيره . وهذه بعض الأمثلة .

روزنامه : بمعنى تقويم في معظم العاميات . اصلها فارسي .
والحاجة اليها ماسة جدا لأننا لانملك في العربية الا تقويم . وقد ورد في الماضي اصطلاح زيچ في معنى الجدول الفلكي ولكنه مهمل الآن .

واصطلاح تقويم يرد وحده حالياً في مقابل كلمتين انكليزيتين هما :
ALMANAC و CALENDAR والأول من العربية مناخ^(١) التي كانت في
العصور الاسلامية تعني التقويم الفلكي وهي اليوم مختصة بمعنى الأحوال
الجوية . ولا يمكن الرجوع الى معناها القديم لأنه يتجانس مع اللفظة
بمعناها الحاضر ، الا اذا اجرينا عليها بعض التحوير فقلنا مثلاً مناخة .
وهكذا فالأفضل معجمة ووزنامة لا سيما وأن تقويم تتجانس مع مفهوم
التعديل والتصويب .

خردة - خردوات : فارسية متداولة في معظم العاميات بمعاني مختلفة
تفيد التنوع وعدم الانتظام والاتساق . كالخديد الخردة لغير الخالص ،
ودكان الخردوات لبيع ادوات وحاجات مختلفة لا يجمعها جامع . ويجب
قبول هذه المفردة في المعاجم بمعانيها العامة والاصطلاحية ، مع استثناء
واحد من هذه المعاني هو اطلاقها في العراق على النقود الصغيرة الفئات ،
فهي لا تصلح لتمثيل هذا المعنى ، وهناك مفردات ادق منها يمكن تعميمها
مثل : فراطة في سوريا فكّة في السودان ، وصرافة التي ترد احياناً في
العراق مرادفاً للخردة بهذا المعنى^(٢) .

الكرباح : السوط . لم اتوصل الى تأييله . ولعله تركي بدلالة
لفظه بالقاف في العراق وقد اثبتته المعجم الوسيط . وهو يضيف الى السوط
مرادفاً آخر يغني عن مرادف فصيح ولكن غير صالح هو المحذرج . ونحن
اذ نستضيف هذه المفردة لا نبغي التوسع فيها فقد اكلنا من السياط ما
يكفي .

(١) ان وجود مناخ في الانكليزية وبعض شقيقاتها الاوريبات بالميم المفتوحة MA يدل
على ان الاسلاميين كانوا يلفظونها كما نلفظها الآن بالفتح ، وليس بالضم الذي يصر
عليه اللغويون .

(٢) قاموسها هو البتّك ولا يصلح للتعميم

اداة النسب تشي او جي : تركية شائعة في سوريا ومصر والعراق
والى حد ما في المغرب ، وتغلب على اسماء ذوي المهن مثل توتونجي
ويلطجي . ويلفظها السوريون والمصريون بالجيم لانعدام الكشكشة
عندهم ، بينما يحولها القاهريون الى الكاف على طريقتهم في نطق الجيم .
وهو ابتعاد كثير عن الأصل . وتخدم هذه النسبة حاجات معينة الى تمييز
الاصطلاح لأن ورودها في اسم يدل دلالة حاصرة على المختص تميزه عن
النسبة العادية بالياء المشددة .

زنگين : غني . من الفارسية . في عامية العراق . ولا ضرورة
لمعجمته بالنظر لكثرة المفردات الأصلية الدالة على معناه .

روتتي : صنف من الخبز يقارب الصمون (العراقي الفصيح) ،
هندية ، في لهجة عدن وصنعاء اليمينيتين . ولا حاجة لمعجمة مثل هذه
المفردة لأن كلمة خبز معروفة ومتداولة في العامي والفصيح . واضافتها الى
القاموس يزيد من نسبة الكلمات الدخيلة دون حاجة ماسة اليها .

نصل من هنا الى تصور خطة لمعجم عربي موسع يضم المنطوق في
كل البلدان العربية الى جانب المحتوى الراهن للقاموس الفصيح ؛ كلا
بعد الغربة والانتقاء ، بما يضمن اثرء اللغة وتحريرها من البلبلة في آن
واحد . وهو نفس العمل الذي قام به اللغويون القدماء حين جمعوا اللغة
من جميع القبائل وألفوا معاجهم على اساس انتقائي .

وربما اثارت هذه الخطة اشكالا يتمثل في احتواء المعجم ، وبالتالي
لغة الكتابة ، على مفردات مألوفة في بلد غير مألوفة في بلد آخر . لكن هذا
هو ما فعله الأقدمون الذين ألفوا معاجهم من جميع اللهجات . وقد اشرت
للتو الى طبيعة العلاقة بين محتوى القاموس وبين كل من لغة الكتابة و
الكلام . على ان هذا الاشكال قد يكون الصق باللغة العامة منه بلغة
الاصطلاح . وستحدث عن ذلك في مفصل قادم ، كما سنتناول مفهوم
«الغريب» في اللغة . ونريد ان نشير هنا الى تجربة خاضها القرآن الذي
احتوى على مفردات من شتى اللهجات اثارت بعض الصعوبات في الفهم

بين المسلمين الأوائل . واذا استثنينا الآيات المشابهة ، فالقرآن لم يكن
يتقصد الغموض في استخدامه لمفردات معروفة في لهجة دون اخرى وانما

خضع في ذلك لاعتبارين ، احدهما ينظر الى توحيد اللغة وعدم حصرها في لهجة معينة ، وثانيهما الى مستلزمات التعبير اللغوي السليم . وعلى هذا الاساس تجاوز القرآن قيود «الغريب» حيثما تعارضت مع اهدافه . وقد اورد السيوطي في «الدر المنثور» ان عبد الله بن العباس - احد كبار مفسري القرآن ، وهو من قريش - قال : كنت لا ادري ما «فاطر السماوات» حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما : انا فطرته . . .»^(١) يقصد انشأتها . والاشارة هنا الى الآية : «الحمد لله فاطر السماوات والأرض» وقد اشكلت على قريش مفردات قرآنية من هذا القبيل كانوا احيانا يستغلونها في اعلامهم المضاد . من ذلك كلمة «الزقوم» في الآية : «ان شجرة الزقوم طعام الاثيم» لأن الزقوم عند قريش اسم طعام يعمل من التمر والزبد . واورد السيوطي في «الاتقان» عن الحسن البصري^(٢) : كنا لا ندري ما الارائك حتى لقينا رجلا من اهل اليمن فاخبرنا ان الأريكة عندهم هي الحَجَلَة فيها السرير . والاشارة هنا الى الآية : «متكئين فيها على الارائك» . وقد حدد علماء القرآن مفردات خمسين لهجة مختلفة وردت فيه^(٣) . والقرآن مع ذلك خضع لقيد التشذيب والانتقاء وهو المستفاد من قول بعضهم انه نزل بلغة قريش ، ولكن على اساس التغليب دون الحصر . وقد علله بعضهم بأن «كلام قريش سهل لين وكلام العرب وحشي غريب»^(٤) .

(١) الدر المنثور تفسير كلام الله المأثور ج ٥ / ٢٤٤ .

(٢) الاتقان في علوم القرآن ص ٢٩٧ .

(٣) نفسه ص ١٣٥ .

(٤) نفسه ص ١٣٥ .

هذه اشارة الى تقدم قريش حضاريا على سائر العرب . وهي حقيقة تاريخية ، لأنهم كانوا تجارا واغلب العرب بين بدو رحل او في طور تحلل حضاري كأهل اليمن . وقد اورد السيوطي عن ابن فراس (المزهر ١ / ٢١٠) ما يفيد ان لغة قريش كانت بدورها مجموعة من لهجات متعددة وفسرها بكونهم كانوا ملتقى العرب في المواسم ، أي أنهم لم يعيشوا في عزلة خلافا لبقية القبائل . ويبدو أن قريش كانت تتمتع بوعي لغوي انتقائي ←

يبقى لدينا بصدد المعجم الموسع مسألة النطق بالمفردات العامة المضافة اليه . ونحن نعلم ان نطقها يختلف بحسب اللهجات فبأي لهجة يثبت نطقها في المعجم ؟ الرأي الأصاح عندي هو أن تدون بحروفها الفصيحة اذا كانت من اصل فصيح وبالحروف المستعارة اذا كانت من الدخيل . وسيرد في فصل الحروف كيفية كتابة الحروف العربية المستعارة . وفي كل الأحوال يترك للناطقين باللهجات المختلفة ان ينطقوها حسب لهجتهم ، استثناساً بما حصل في قراءة القرآن حسب اللهجات ومشياً على سنن متبع في اللغات الأخرى ؛ حيث يتغير نطق بعض الحروف من لهجة لأخرى مع بقاء الكلمة بحروفها الأصلية . ومثال ذلك في الاسبانية ، تلفظ حرف (C) اذا كان مكسوراً بأحد الحروف الثلاثة I, Y, E ثاء في لهجة مدريد ، الغالبة في اسبانية ، وسيناً في معظم لهجات امريكا اللاتينية . فالمدريدي حين يقرأ نشرة الاخبار وتمر به مثل كلمة ACEITUNA (الزيتون) ينطقها (ايتونا) اما اللاتيني - امريكي فينطقها ، «اسيتونا» . والكلمة واحدة في الحالتين خطأ ومعنى . وعندي انه لا ضير في ان ينطق القاهري كلمة «جذع» بالكاف والdal وينطقها غيره بلفظها الأصلي . او ينطق السوري المدني «شقفه» بالهمزة وينطقها سوري الريف او العراقي الموصل بالقف ، وان كان الأصلح توحيد النطق حيثما امكن . وانا افترض بالنسبة للحروف المستعارة امكان نطقها كما هي نظراً الى ان الفرد العربي ، لا سيما المتعلم ، صار اليوم قادراً على تلفظ الأسماء الأجنبية التي تحتوي على هذه الحروف بحكم التكرار والالفة ، فمعظمنا يقول : اوربا ، وهيغل (بالكاف) وتشودري . . . الخ دون ان يضطر الى ابدالها بالحرف القريب منها في لغة الكتاب الحالية .

وهو ما يستدل عليه من ارسال اولادهم الى البادية طلباً للفصاحة . ومع ذلك فهم لم يستوعبوا كل اللهجات . مما يفسر الصعوبات التي نشأت عندهم في فهم بعض المفردات القرآنية .

قضايا الاصطلاح ومستلزمات لغة العلم

واجه العرب هذه المشكلة لأول مرة عند ظهور الاسلام الذي استوعب تحركا تاريخيا مختلف الأبعاد . وكانت الحاجة الى الاصطلاح في تلك البداية تشمل مضماري الدين والسياسة ، بما فيها العمل المسلح ، في المقام الأول ، والمضمارين الثقافي والاجتماعي - او الاقتصادي بالأدق - في المقام الثاني . وقد احتوى القرآن ، الرمز الأول للحضارة الاسلامية ، ثم الحديث وادبيات الصحابة ، على جملة وافرة من المفردات الجديدة صيغت وفق ثلاث قواعد هي الاشتقاق والمجاز (التوليد المعنوي) والتعريب . ومن امثلة الاشتقاق : المترفون ، اطلقت على الفئات الغنية المتنفذة في المجتمع المكي ، وهي تقابل الارستقراطي في معناه العام . ومنها المؤمنون والمسلمون والصديقون والمسجد والمحصنات والمشركون ومن المجاز الصلاة والزكاة اخذتا عن معنى اصلي يفيد الدعاء - في الأولى والثناء في الثانية . ومن امثلة التعريب : الصراط والقسطاس وهما لاتينيتان ، وجهنم وهي عبرية^(١) .

وقد استمرت الأدوات الثلاثة لايجاد الاصطلاح هي المعتمدة في العصور الاسلامية ، اضيف اليها المركب بالاضافة مثل بيت المال واستاذ الدار ودار الكتب . ولم يتوسع في النحت والتركيب المزجي لأن الحاجة لم تكن ماسة اليهما مع كفاءة ادوات الاشتقاق الأخرى . على ان تعقد المجتمع من جهة ، والتأكيد الذي تضمنه علم البلاغة على الالجاز وعدم الاطناب من جهة ثانية ، والميل السليقي في لغة الكلام الى الادغام

(١) مع التنبيه الى ان ما قد يعتبر معرباً عن لغة سامية قد يكون اصلاً مشتركاً لأن اللغات السامية ترجع كلها الى لغة ام واحدة . وقد اعتبرت الصلاة احياناً من الأصل العبري «صلوتا» غير أن المعاجم نصت على ورودها في الجاهلية بمعنى الدعاء . وورود صلوتا وصلاة في اللغتين يرتهن بالأصل المشترك على غرار عولام وعالم ، ايلو واله آسو وآسي (الطبيب) وغيرها من المشترك بين الساميات او بعضها

والاختزال من جهة ثالثة اوجدت بعض التوجه نحو النحت ، فظهرت اصطلاحات منحوتة بعضها في النسبة وبعضها في المصطلح . ومثال النسبة : الدارقطني نسبة الى محلة دار القطن في بغداد الاسلامية ، والرُسْغَني نسبة الى رأس العين في مصر . ومن امثلة المصطلح : الماورد من ماء الورد . والاستندار من استاذ الدار وهو المشرف على دار الخلافة .

واستعملت الصفة والموصوف في هذه الأغراض ايضاً كقولهم في المنطق : عَرَض لازم وعَرَض مفارق وهي صيغة تلجأ اليها اللغات للتفريق بين حالات مختلفة لمصطلح واحد عندما يتعذر ايجاد مصطلح مستقل لكل حالة ، وهو الخيار الأمثل .

في العصر الحديث ، عادت مشكلة الاصطلاح الى الظهور ولكن في ظروف مختلفة تماماً . فقد واجه العرب هذه المشكلة في الاسلام وهم يشرعون ببناء حضارة تهيات لها عوامل تاريخية واعدت لها البنية . اما هنا فقد واجهوها وهم متحللون حضارياً ، فكان من الطبيعي ان تكون استجاباتهم لها ادنى كفاءة من استجابة عرب الاسلام لها .

لكن الضغط المتعدد الأشكال ، الذي تفرضه الحضارة الحديثة ، - وهي عالمية الأفق امية الامتداد - على العالم العربي انتج بعض معادلاته المنطقية . ومع أن المؤثر الارأس في مثل هذا الشأن هو العامل الذاتي - الجواني ، فاننا نلمس تحركاً مدفوعاً بقوة الضغط البراني بتوخي الاستجابة لمطالبه بمستوى يكفي لتوكيد الخضوع المحتوم لناموس الحضارة الحديثة - العالمية . ومن المشهود اليوم ان الشعوب العربية تتقدم ، ولو ببطء شديد ، نحو انشاء وسائلها العلمية ، وتعمل في اثناء ذلك ، وبحكم الضرورة ، على تذليل مشكلة الاصطلاح ؛ وصولاً الى تكوين لغة علم تتمتع بنفس الاستيعاب الخلاق للغة العلم التي انشأها عرب الاسلام . وقد تحدثت في مقدمات هذا الكتاب عن معالم التقدم في هذا السبيل ، وهي من الشموخ بما لا يسمح باهمالها والقفز عليها ، لكن فيها من العيوب ما يسمح بنقدها ؛ وسيتم ذلك من خلال استعراض مفصل لأدوات الاصطلاح يتعقد عليه مجمل هذا الباب .

الاشتقاق

يبلغ المستعمل من الأبنية العربية حسب احصائية أوردتها السيوطي عن الزبيدي في مختصر كتاب العين خمسة آلاف وستمئة وعشرين^(١) . وهي جزء صغير من مجموع الأبنية الممكنة التي تبلغ اثني عشر مليون وثلاثمائة وخمسة آلاف . وتحسب الأبنية على اساس ترتيب الحروف ، ومثاله :

بحر ، حرب ، رجب ، برح ، ربح ، حبر .
ويجري الاشتقاق من الجذر الواحد حسب الأوزان المختلفة للمفردة . ومثاله في بحر :

أبحر ، إبحار ، مُبحر ، بَحَّار ، مبحار ، بحري ، بحرية
(مصدر صناعي) بحار (جمع كثرة) أبحر (جمع قلة) ، بحيرة ، بحرة
(للغديرة وما في حكمه) ومن مجازاته :

البحر لوزن الشعر ، بحور (جمع البحر الشعري) ، تبحر (تعمق)
متبحر (تعمق في العلم) ، استبحر الشيء : اتسع وانبسط .

ويقبل الجذر اشتقاقات غير محدودة تبعاً للحاجة الممكنة من قبيل :
بحارة (وزن فعالة للحرفة) ، بحريات (لعلوم البحر) ، تبخير (لجعل الشيء بحرّاً أو بحريّاً) ، مَبَحَر (اسم مكان من البحر قد يفيد مكان الابحار) مبحرة (اسم آلة من بحر) ، إبحارة (اسم مرة) ، تبخيرة (اسم مرة من تبخير) الخ من أوزان لا يمكن تحديدها سلفاً وإنما هي ترتفع بالمستجد من الأمور المتعلقة بهذا الجذر .

ندرس فيما يلي جملة من الاشتقاقات المستعملة او المطلوب استعمالها لاثراء اللغة والمساهمة في حل مشكلة الاصطلاح .

تفعيل وفعلنة :

يفيد الجعل من حالة الى حالة . ومنه :

تصنيع : جعل الشيء صناعياً او مصنوعاً .

تعريب : جعل الشيء عربياً .

تشريك : جعل الشيء اشتراكياً .

شرعنة : جعله شرعياً .

عقلنة : جعله عقلياً او عقلانياً .

ويشتق منها افعال فيقال : يصنّع ، يعرّب ، يشرك ، يشرعن ،

يعقلن .

تقابل هذه الأوزان ما ينتهي في الانكليزية ونحوها بـ IZE أوIFY

وهي من الأوزان الهامة في ميداني العلم والفكر الحديثين . وقد انتشرت في

لغة الكتابة الحديثة رغم انها لم تحظ حتى الآن بموافقة اللغويين مما خلق

بعض التردد لدى الكتاب والمفكرين بشأنها . وهي فصيحة ودقيقة ولا

سبيل للاستغناء عنها مراعاة للاجتهادات او الأذواق الشخصية .

وزن المطاوع المقابل لما ينتهي في اللغات الأوربية بـ ABLE :

له عدة صيغ اهمها : منفعل ويؤخذ من الثلاثي . ومن امثلته

القديمة :

منقسم : بمعنى قابل للقسمة . وقد فهمه الفلاسفة بهذه الدلالة اي

قابلية القسمة وليس وقوعها الفعلي .

وهذه الصيغة تنطبق (اي تقبل الانطباق) على كل فعل ثلاثي

فيقال : منأكل ، منشرب ، منسلك ، منقريء ، منحرق ،

منشعل ... في حالة اسم الفاعل ، و .

ينأكل ، ينشرب ، ينسلك ، ينقريء ، ينحرق ، ينشعل .. في

حالة الفعل .

والمطاوعة في العاميات اشيع منها في لغة الكتابة ويعوض هنا بماضيتها عن المبني للمجهول فيقال : انكسر الزجاج بمعنى كُسر ، ويرد مضارعها في معنى القابلية فيقال : ينأكل ، ينطبخ ، ينخبز ، يشرب ويعوض باسم فاعلها احياناً عن المفعول به فيقال : منطبخ ، منخبز ، منكسر . . . اي مطبوخ ونخبوز ومكسور ، وهو هنا خروج على الدلالة الدقيقة للمطاوع الذي تحتاج اليه لغة العلم والفكر لأداء مفهوم القابلية . وينبغي لذلك :

١ - مجازاة العامة في استعمالها الفصيح لصيغة المطاوعة في المضارع بعد ان تجنبها الكتاب لشيوعها في العامة ، وظنهم بالتالي انها غير فصيحة ومخلّة ببلغة لغة الكتابة . .

٢ - اللجوء حيثما امكن الى المطاوع الماضي للتعبير عن الفعل المبني للمجهول كما تفعل العامة للخلاص من اشكالات الخط ، التي يحدث خلط كثير بنتيجتها بين المعلوم والمجهول من الأفعال .

٣ - استعمال اسم الفاعل المطاوع لما يفيد القابلية ورفض التوليد العامي لأنه متضمن في اسم المفعول الشائع في اللهجتين مما يغني عن اضافة هذه الصيغة اليه . فاذا قلنا : منطبخ وجب ان نعني به القابل للطبخ ، واذا اردنا اسم المفعول قلنا : مطبوخ .

متفعل ومتفعل :

ان نون المطاوعة مختصة بالثلاثي ولا تصلح للرباعي وما فوقه . وقد نص مجمع القاهرة على وزني يتفعل ويتفعل للتعويض عن المطاوع في هذه المفردات . ومثال الأول متدحرج اي يقبل الدحرجة ومتدهور اي يقبل الدهورة . ومثال الثاني : متنوع اي يقبل التنوع ومتعلم اي يقبل التعليم . لكن هذه الأوزان ليست دقيقة الدلالة على القابلية لأنها تفيد وقوع الفعل وليس مجرد قابلية الوقوع وتتميز بالدلالة على التدرج في الوقوع او الاستمرار فيه . فعندما نقول «وضع الدولة الفلانية يتدهور» نفهم منه انها في حالة تردي تدريجي ومستمر واذا قلنا فلان يتعلم او متعلم نفهم منه انه يواصل تحصيل العلم وليس مجرد أنه قابل لتحصيله ، وهذه

الدلالة واضحة في تقسيم لنهج البلاغة نص فيه على ان الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاه ، وهمج رعاع اتباع كل ناعق . . . هذان البناءان اذن لا يصلحان لهذا الغرض ولا مفر في مثل هذه الأحوال من ان يصار الى تكوين الاصطلاح من كلمتين ، تكون الأولى احدى بادئتين هما : قابل ويمكن والثانية هي المفردة المطلوب وضع الاصطلاح لهما ، فيقال :

يمكن التدهور ويمكن التدحرج
قابل التدهور وقابل التدحرج .
قابل - تدهور وقابل - تدحرج .

واذا واتت الكاتب الجرأة الكافية امكنه دمج الكلمتين بتسكين البادئة فقال : القابل - تدهور . وهذا من باب النحت والتركيب الذي ستحدث عنه في مفصل قادم .

المضارع المبني للمجهول في معنى المطاوعة :

اجازه مجمع القاهرة . وقد يكون اصلح من السابق لوضوح دلالاته . ومثال : يصارع ، يُقاوم ، اي يمكن مصارعته ويمكن مقاومته .
وتقبل هذه الصيغة دخولها الى التعريف عليها فتكتسب حالة المصطلح - الاسم . وقد وردت امثلة لها في النصوص القديمة ، منها هذا البيت المشهور للفرزدق :

ما انت بالحكم الترضى حكومته
ولا الاصيل ولا ذي الرأي والجدل

وقد اختلف اللغويون بين اعتبار ال هنا اداة تعريف او اختزالاً لاسم الموصول ، والنتيجة واحدة وهي تكوين اصطلاح يفيد القابلية من الفعل ومعاملته معاملة الاسم .

ويشبه قول الفرزدق بيت ورد في مختار الصحاح :

يقول الخنا وابغض العُجم ناطقاً الى ربنا صوت الحمار اليجدُ

ويمكن للكتاب ان ينسجوا على هذه السابقة ما يحتاجون اليه .

ومن ابنية المطاوعة وزن فعّال المختص اصلاً بالمبالغة لكنه قد يفيد المطاوعة والقابلية . ومن المصطلحات القديمة : جسم صَعَاد اي قابل للصعود ، ورد في مجادلات المتكلمين . ويقال في العراق للألعاب النارية «صَعَادات» لأنها تصعد بسرعة وخفة لحظة اطلاقها . ورأيت في اعلان على ظهر مجلة خليجية يتعلق بمذياع - مسجل كلمة : نقال اشارة الى انه يحمل باليد ، ترجمة للمصطلح الانكليزي : Portable وهو اصلح من مقابله المبني للمجهول (يُحمل) الذي تضمنه «معجم المصطلحات الفنية» .

وزن فعالة للحرفة وما في حكمها :

وكان كثيراً عند الأقدمين ، ومنه تجارة ، وسياسة ، زراعة ، صناعة . وقد أقرت مجامع اللغة استعماله لاشتقاقات جديدة في هذا المجال ، فاستحدثت مصطلحات من قبيل : حراجة لما يتعلق بالغابات انتاجاً ودراسة . وسياقة او سواقة لقيادة المركبات . لكن القديم فيها لا يزال اكثر من المحدث .

وزن فعّال للمختص والمحترف :

منه ، بحار ، حداد ، فلاح ، عطار ، وقد جعله الزمخشري في باب النسبة فقال ^(١) قد بينى على فعال وفاعل ما فيه معنى النسبة من غير الحاق الياءين كقولك : بتات وعواج وثواب وجمال ولابن وتامر ودارع ونابل . والفرق بينهما - اي بين فعال وفاعل - أن فعلاً لذي صنعة يزاولها ويدعيها ، وعليه اسماء المحترفين ، وفاعل لمن يلبس الشيء في الجملة» .

ولهذه الأبنية حيز واسع في لغة الكلام والكتابة ولغة العلم والفكر في الوقت الحاضر ، وتشق من الثلاثي ومزيداته ، ولها ميزة وهي انها تتضمن دلالة مستقلة على من يمارس الحرفة او الاختصاص في مقابل النسبة العادية

بالياءين ، والتي تلتبس بوصف الشيء مثل : تاجر وتجاري ، صانع وصناعي ، خشاب وخشبي ، فلاح وفلاحي ، حراج وحراجي ... الخ .

ويلحق بهذا البناء وزن نادر هو فيعال ومنه بيطار وبيزار . ولعله يصلح لاسماء المختصين والمحترفين في الحالات التي يكون فيها اسم الحرفة او الاختصاص محتوياً على حرف ياء يلي حرفه الأول الصحيح ومنها : بيولوجي يمكن ان تشتق منها : بيلاج فنحصل على اسم لصاحب الاختصاص يميزه عن المنسوب . ومن هذا النسق : فيلولوجي صاحبه : فيلاج . وقد يمكن التوسع في الصياغة فنشتق من هذه العلوم التي تنتهي باللاحقة اليونانية لوجي اسماء مماثلة لا تحتوي بالضرورة على الياء فنقول : فسلاج ببذل فسلاجي اوفيزيولوجي ، ومرفاج من موروفولوجي الخ ...

اسم الآلة :

يصاغ على ثلاثة ابنية مكسورة الميم :

مفعل : مبرد ، مبضع ، مخرز .

مفعلة : ملعقة ومغرفة .

مفعال : مفتاح ومنشار .

ويصاغ ايضاً على اسم فاعل او مبالغة مؤنث (فعالة) ومبالغة مذكر (فعال) :

نابض ، هاتف ، سيارة ، غسالة ، جرار ، رفاس ..

ويصوغ العامة من الثلاثي المعتل او المهموز الآخر اسماء آلة على وزن فعّاية :

دفاية ، غلاية ، شواية ...

وكل هذه الأوزان صالحة لأغراضها وينبغي التوسع فيها مع مراعاة ما يلي :

١ - ان لغة الكلام لا تستسيع وزن مفعول ومفعلة مكسوراً فتحتة في الغالب . فالعامة تقول : مَقْبُضٌ وَمَقْشَةٌ بفتح الميم لا بكسرها . ويمكن مجازة ذلك في لغة الالقاء ما لم يخش التباسه مع اسم المكان وهي حالات نادرة نظراً للتباعد بين الوضعين .

٢ - ان وزن اسم الفاعل والمبالغة المؤنث يلتبس احيانا باسم المحترف ، فكلمة غسالة قد تنصرف الى الكادحة التي تغسل الملابس بأجور ، وكلمة طيارة الى من تقود هذه الوساطة اذا كانت انثى . وينبغي في هذه الأمور ان ينتخب الوزن ذو الدلالة المستقلة فيقال : طائِرة بدل طيارة ، اذا كان للآلة اسم متداول من هذا القبيل ، لا سيما وأن المرأة اخذت اليوم تشغل موقعاً يكافئ موقع الرجل في الحياة العامة .

بناء فاعل على وزن قالب

شاع هذا البناء على الألسنة في لفظ حاتم وقالب وغيرهما . وميزته انه يعطي المفردة دلالة متميزة عن اسم الفاعل اذا اشترك معه ، او يبعده عن اصله الاشتقاقي اذا كان مفرداً . وابتعاد الاصطلاح عن اصله الاشتقاقي يفيد استقلالاً ابعد في الدلالة . وامثلة هذا البناء قليلة حتى الآن ، منها طابع اذا اخذ على وزن قالب كان مرادفاً لجوهر أو كنهه او ماهية الشيء كقولنا : طابع الدولة الفلانية وطابع الحركة الفلانية . . . وهو بهذه الصيغة لا يجمع . واذا اخذ على وزن اسم الفاعل اختص بالاصطلاح البريدي المعروف ويجمع عندئذ على طوابع . مع العلم ان وزن قالب اصيل في العربية . يمكن تطبيق هذا البناء كذلك على المفردات المعربة من غرار ساذج الفارسية ، وكادر الانكليزية .

اشتقاقات اضافية محدثة لمشتقات قديمة :

ظهرت في الوقت الحاضر مشتقات جديدة لمفردات قديمة عبر بها الناس عن حاجتهم الى تجاوز المفردات المتجانسة وتمييزها بالدلالة اللفظية المستقلة . ولعل ابلغ مثال على هذا التجاوز كلمة خطوبة ، اصلها في الفصحح خطبة المشتركة مع مفهوم الخطابة ، فاشتق العامة هذا الاصطلاح

لتخصيصها بالدلالة وهو على وزن : برودة وسهولة وسيولة . . . وينطوي مثل هذا الاشتقاق على ابدال لغوي يجب الاخذ به .

ومن هذا القبيل :

معدّاي : لصاحب المعبر الذي يتولى نقل الناس من ضفة لأخرى اذا انعدم الجسر . وهو اصطلاح مصري املاه وجود نهر النيل ، واصل قياسه في الفصحح مُعدّي من عدّاه يعدّيه فأضاف اليه العامة الألف والواو لتمييزه في التلفظ ، لكنهم اخفقوا في تمييز اسم الآلة فقالوا : معدّية ، وهو ملتبس وصعب التلفظ ، ولو جعلوها : عدّاية مثل دفاية لكانت صالحة . وعدّاي اسم علم في ارياف العراق يفيد الجرأة على الاقتحام واجتياز الموانع والعقبات . .

اخذ الاصطلاح من الفعل

اتخذ القدماء من بعض الأفعال اسما علم واخضعوها لتصريف واعراب الاسم العادي . فقالوا : يَعْرُبُ ، يَشْجُبُ ، تَغْلِبُ ، يَزِيدُ ، يَنْبُعُ ، أَبَانَ . . . ونسبوا اليها فقوال يعربي ويزيدي واباني

ورأيت في مسرد تاريخ الصحابة في «انساب الأشراف» للبلاذري قول احدهم عن آخر انه كُتبي نسبة الى «كنت» لمن يتحدث عن ماضيه ويباهي به .

وفي ارجوزة لاعرابي شحاذا يندد فيها بالأغنياء :

رب	عجوز	عِرمس	زبون
سريعة	الرد	على	المسكين
تحسب	ان	بوركاً	تكفيني
اذا	غدوت	باسطاً	يميني

يشير الى قول الأغنياء له «بورك فيك» ليطرده عنهم . ويبدو لي هذا الاعرابي الجائع اصح ذهنأ واجراً قياساً من لغويننا وكتابتنا المعاصرين حين اتخذ من الفعل اصطلاحاً وعامله معاملة الاسم حتى اخضعه للتثوين .

ويقال في عامية بغداد على غرار قول الاعرابي «فلان من اهل العشت» يقصدون انه لقام وطماع اذا اعطاه احد شيئاً اسرع الى اخذه وقال له عشت تعبيراً عن الامتنان

ولنتذكر اخيراً سابقة اصطلاحية هامة هي اللا ادريّة التي ركبت من لا - ادري وجعلت دليلاً على مذهب الشكاك في الفلسفة .

التوليد

يقصد به اخذ مفردة قاموسية واستخدامها في موضوع جديد بقرينة تجعله صالحاً للتعبير عن هذا الموضوع . وهذا هو التوليد المعنوي ، ويدخل في باب المجاز ، او التجوز كما يسميه مجمع القاهرة . واللفظ المولد ظهر في العصور الاسلامية وكافحه اللغويون دون جدوى . وقد عرفوه بأنه اللفظ ، او المعنى ، الذي لم تعرفه العرب حتى نهاية عصر الاحتجاج اللغوي . وما يعينينا الآن هو التوليد المعنوي لأن اللفظي داخل في الأبواب الأخرى كالاشتقاق والنحت .

ومن التوليد المعنوي :

الهاتف : اصله من يتكلم ولا يُرى . نسمي به التلفون بقرينة قرينة جداً .

البرق : مقابل TELEGRAPH بقرينة بعيدة هي السرعة الخاطفة في وصول الكلام الى السامع .

الإذاعة : أصلها بث الكلام وإعلانه . أطلقت على الاختراع المعروف بقرينة قريبة .

وافضل حالات المولد عندي ان يؤخذ من الفاظ قاموسية مهجورة لأن ذلك سيعطيه دلالة حاصرة على المسميات الجديدة ما دام معناه الأصلي غير متداول . مثال هذا :

قطار : معناه القاموسي رتل الابل . وهو من المهجور اليوم . فلما سميت به وسيلة النقل الحديثة صار علماً عليها .

CAMERA : اصلها غرفة معقودة . وهو شبه مهجور في الانكليزية ومتداول في الايطالية . اطلقه الانكليز على آلة التصوير فصار علماً عليها بينما ركب له الطليان هذا الاصطلاح الطويل -MACCHINA FOTOGRAFICA لأن كلمة CAMERA ستثير عندهم التباساً شديداً لو اعطيت هذا المعنى .

وتعارض هذه الأمثلة ما قاله الاستاذ حسن فهمي في كتاب «المرجع في تعريب المصطلحات» . من ان تشبيه آلة او مكنة او جهاز بما كان عند العرب منها امر لا يقره المنطق ، فكيف مثلاً نطبق محاولة تشبيه وسيلة من وسائل الانتقال والسفر الحديثة بما كان عند العرب في حياتهم الأولية البدوية .

ومن الغريب ان يسأل هذا السؤال وعنده القطار وهو عربي والكامرة وهو يعرف الانكليزية ! فهلا تساءل عن الشبه بين الغرفة المعقودة وآلة التصوير ؟ بل وعن العلاقة بين فاتح قوارير الخمر وسمسار البورصة وقد حللها في كتابه فلم يجد بينهما اية علاقة ؟

ان مثال الكامرة دليل قاطع على صلاحية المهجور للاصطلاح . فالانكليزي العادي لا يعرف من هذه الكلمة غير المدلول ، ولو ان احداً قصد مكتب عقار في لندن وطلب منه تأجير كامرة لاحاله فوراً الى بائع آلات التصوير . وهذه تجربة ثمينة تفتح لنا باباً واسعاً في استرداد الألفاظ المنسية للاستفادة منها في حل مشكلات التعبير اللغوي . وينبغي الاعتراف ، فضلاً عن ذلك ، بأن ضغط العصر الحديث يتزايد على اللغات ويعرضها لامتحانات صعبة ، حين تجدها وقد انتقلت من ظروف الشئمة ذات الضغط الخفيف نسبياً الى عالم متزايد التعقيد حيث التطور . ولا احسبنا نملك حق التبطر على القاموس في مثل هذه الظروف .

التعريب

يقصد بالتعريب نقل اللفظة الأجنبية كما هي ، اي دون ترجمتها الى مفردة عربية تؤدى معناها . وينقل السيوطي عن ابو حيان في «الارتشاف» «ان الاسماء الأعجمية في العربية على ثلاثة اقسام قسم غيرته العرب والحقته بكلامها فحكم ابنيته حكم ابنية الاسماء العربية الوضع نحوود درهم وبهرج . وقسم غيرته ولم تلحقه بأبنية كلامها نحو آجر وسفسير ، وقسم تركوه غير مغير» . « وقد ذكر للأخير مثال خراسان واحسبه لم يوفق لأن اسماء العلم لا يصدق عليها مفهوم التعريب - ومن الواضح على اي حال ان امثلة هذا القسم نادرة فاللفظ قلما ينجو من التغيير اذا دخل في لغة اجنبية .

اللغويون على اتفاق ، الا بعض الشواذ من رجال الدين ، على وجود المفردات المعربة في اللغة العربية ، بما في ذلك القرآن . وهذا هو ناموس اللغات ، فليس في الدنيا لغة نقية الدم . فقد اخذت العربية من اللاتينية واليونانية والفهلوية ، ثم اخذت الفارسية الحديثة من العربية التي قدمت ايضاً مقادير وافرة من المفردات للغات الشعوب الاسلامية والشرقية ، كما سربت من الأندلس ما يزيد على اربعة آلاف مفردة للغة الاسبانية ، التي امدت لغات اوربية اخرى ببعض ما اخذته من لغة العرب .

وتأتي الحاجة الى التعريب أحياناً من واقع ان اللغات لا تتطابق في مفرداتها تماماً ؛ ففي قاموس كل لغة مفردات خاصة به لا يوجد ما يقابلها في قاموس اللغة الأخرى مما يلجئ الى اخذ المفردة الأجنبية وأقلمتها في

اللغة الآخذة . وهذا بالطبع مع احتساب عنصر الوعي في التعريب . وفيما عدا ه ، يخضع الأخذ للنواميس المعقدة التي تحكم العلاقات بين اللغات . ومن المعتاد أن تأخذ اللغة الأدنى حضارة من اللغة الأرقى اولغة الشعب المسود من لغة الشعب السائد ، كما اخذت الاسبانية من العربية قديماً ، وأخذت العربية من اللغات الأوروبية حديثاً .

مرت تجربة التعريب في عربية الجاهلية والاسلام مروراً طبيعياً - بلا افراط ولا تفريط . ونأمل ان تتم اليوم بنفس الوتيرة . وان كنا اليوم في حاجة أمس الى ممارسة الصراع في هذه الحلبة ؛ فنحن نجاهه من جهة تزلزلت اللغويين ومزايدات اولياء نعمتهم ، ومن جهة اخرى تدفق المفردات الأجنبية بلا حساب على اللغة في قطاعها المحكي - الذي يعيش كما قلنا حالة انقراض لغوي تجعله مكشوفاً للاكتساح . ولا مناص لنا من سلوك السبيل الأوسط ، فنعرب ضمن الحاجة الى التعريب متبعين ما اقره مجمع القاهرة بمرونة يحمد عليها ، مع اتخاذ ما يسعنا لمنع الاكتساح في لغة الحياة اليومية ، آخذين في الحسبان ان العامة لا تملك سلاحاً واقعياً يحميها من الانصهار في اتون اللغات الأوروبية . واني لأمل ان يجرب اللغويون قوتهم في هذا الميدان النفسح ، ويتركوا لنا ميدان التعريب نتصرف فيه حسب الحاجة وضمن المعقول .

النحت والتركيب

ذكر ياقوت ان عالماً اسمه الحسن بن خطير ولقبه الظهير توفي بمصر عام ٥٩٨ هـ وضع رسالة من عشرين ورقة (اربعين صفحة) عنوانها «تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب»^(١) وما اورد فيها كلمة شَقَّحَطَبَ فقل انها مركبة من كلمتين : شق وحطب . والشقحطب في القاموس المحيط هو الكبش له قرنان او اربعة كل منها يشبه شق الحطب . وشرح القاموس لها يدل على انها مركبة فعلاً من هاتين الكلمتين كما يقول

(١) معجم الأدباء ١٠٣/٧ .

الظهير . ومن الجدير بالذكر ان الظهير لم يكن لغوياً محترفاً بل هو عالم شبه موسوعي جمع بين اللغة والطب والمنطق ، ولا شك في انه مديون لهذا الأفق المعرفي الواسع في اثارته لمسألة وجود النحت في العربية .

ومن اشار الى النحت هو الخليل الفراهيدي ، المعروف هو الآخر بثقافة واسعة تتجاوز مجرد المعرفة بالنحو الصرف . جاء في كتاب «العين» :

«ان العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجهما إلا ان يشتق فعل من جمع بين كلمتين مثل «حي على» كقول الشاعر :

الا رب طيف بات منك معانقي
الى ان دعا داعي الفلاح فحيلا

يريد قال «حي على الفلاح» او كما قال الآخر :

فبات خيال طيفك لي عنيقاً الى ان حيعل الداعي الفلاحا

او كما قال الثالث :

اقول لها ودمع العين جار السم تحرّك حيعلة المنادي

فهذه كلمة جمعت من «حي» ومن «على» . وتقول منه : حيعل
يحيعل حيعلة وقد اكثر من الحيعلة اي من قولك «حي على» . وهذا يشبه
قولهم تعبشم الرجل وتعبقس ورجل عبشمي اذا كان من عبد شمس او من
عبد قيس فاخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة واشتقوا فعلاً . قال :

وتضحك مني شبيخة عبشمية كأن لم ترى قبلي اسيراً يمانيا

نسبها الى عبد شمس فأخذ العين والباء من عبد واخذ الشين والميم
من شمس واسقط الدال والسين فبنى من الكلمتين كلمة . فهذا من
النحت^(١) .

(١) العين ١/ ٦٠ - ٦١ .

وذكر الثعالبي في «فقه اللغة» من المنحوت كلمة آيان مركبة من أي
اوان . ورجح الخليل نحوها أخرى مثل ليس قال انها مركبة من لا - اداة
النفي - وايس بمعنى الوجود .

لكن معظم اللغويين لم يستسيغوا مثل هذه التركيبات فضيقوا
مجالها فزعم ابو حيان في «شرح التسهيل» «ان هذا الحكم لا يطرد انما يقال
منه ما قالته العرب ، والمحفوظ عبشمي من عبد شمس وعبدري من عبد
الدار ومرقسي من امرئ القيس وعقبسي من عبد القيس وتيملي من تيم
الله (١)» .

يقصد ابو حيان - وهو ليس التوحيدي فالتوحيدي اصح عقلاً من
هؤلاء - ان المنحوت يجب ان لا يتجاوز هذه المفردات التي عددها فهو
يرفض ان يجعل منها قاعدة يقاس عليها نظراً لتمسكه بوهم السماعي .
ومع هذا فقد قاس عليها الأقدمون . فالى جانب هذه المفردات المعدودة
نجد مما اثبتته اللغويون ومما ورد في المصادر الاسلامية فضلاً عما قرأناه للتو
من كتاب العين :

البسمة من بسم الله الرحمن الرحيم . الحولقة والحوقلة (لاحول
ولا قوة الا بالله) الهيلة (لا اله الا الله) الحمدلة (الحمد لله) الجعفدة
(جعلت فداك) السبيلة (سبحان الله) الطلبة (اطال الله بقاءك) الدمعزة
(ادام الله عزك) ومن شواهدا قول الشاعر :

«لا زلت في سعد يدوم ودمعزة»

الحسيلة (حسي الله) الحيهلة (حي هلا بك) السمعة (السلام
عليكم) . الماورد (ماء الورد) ومنه قول ابن المعتز :

يا هلالاً يدور في فلك الماورد رفقاً بأعين النظّارة

(١) المزهر ١/ ٤٨٥ .

وكل هذه النحوت قابلة للتصريف وقد اشتقت منها افعال من غرار ما ذكره الخليل آنفاً .

والنحت والتركيب موزع على الغرارات التالية :

نحت : وقد وصفه الخليل في المقتبس الذي مر بنا وهو أن تؤخذ حروف معلومة من كلمتين او اكثر ويؤلف منها كلمة واحدة تدل على المعاني المجموعة في المفردات التي تألفت منها . وفي حالة النحت من مفردتين قال ابن مالك انه يتم على « فعلل » بفاء كل منهما وعينه فان اعتلت عين الثاني كمل البناء بلامه او لام الأول^(١) .
ولنطبق القاعدة على نحت ايان :

أ (فاء اي وأوان) + ي (عين أي) + و (عين أوان) + ن (لام أوان) =
أيوان وبادغام الواو في الياء تكون : ايان .

وهذه القاعدة قد لا تطرد تماماً لكنها توفر اساساً رياضياً للنحت وستردها عليها بعض التطبيقات المقترحة .

المركب المزجي هو أن تجمع المفردتان بكل حروفهما في كلمة واحدة ومثاله : حضرموت وبعلبك ومعدي كرب . . وبعلبك تركيب سامي - قعبري - يدل على وجود هذه القاعدة في شقيقات العربية .

المركب الاضافي ويتألف من المضاف والمضاف اليه . وهو كثير لا يدخل في باب النحت الا اذا ادمج طرفاه بازالة أل التعريف من المضاف اليه . ومثاله في ماء الورد حذفت اداة التعريف من الورد والهمزة من الماء فصار : ماورد ويمكن ان يطبق ذلك في معظم هذه المركبات . ومنه في القديم : الدارقطني نسبة الى دار القطن من محلات بغداد الاسلامية وهو لقب احد ائمة الحديث في القرن الرابع . والخيز أرزي لقب شاعر غنائي من نفس القرن كان يعيش من عمل وبيع الخبز المعمول من الأرز .

(١) الزهر ١/ ٤٨٥ .

والتمرهندي اي تمر الهند وقد ورد هكذا في كتاب الأذكياء لابن الجوزي^(١) . وعامة العراق يسمونه : تمر هند وهو مقارب للفظه في الاسبانية «TAMARINDO» تمرندو بحذف الهاء التي لا توجد في اللغة الاسبانية وازافة واو المذكر . ومن المستحدث : العرقسوس في سوريا من عرق السوس .

المركب الاسنادي : وهو المؤلف من عبارة ومثاله : تأبط شراً مركب من فعل وفاعل ومفعول به . ويدل هذا المثال على امكان تركيب اصطلاح من جملة .

ومن ابواب النحت الادغام والاختزال وقد مر بنا شرحهما وايراد الامثلة عليهما من الفصيح والعامي .

وثمة تركيبات تقوم على الصفة والموصوف وهي مطردة في اللغات الأوروبية ويراعى فيها سبق الصفة للموصوف مهما يكن ترتيبهما في اللغة . وتلجأ هذه اللغات اليها لأنها تعطي الاصطلاح وحدة تركيبية افضل مما لو سبق الموصوف الصفة . ومنها في الفرنسية HYDROFUGE - صامد ماء - وفي الاسبانية : NEOLITICO - الحجري الجديد - وترتيب الصفة والموصوف في هاتين اللغتين كترتيبهما في اللغة العربية لكنه خولف هنا لاجل الاصطلاح . وقد حدثت هذه المخالفة عند قدماء العرب فذكر الزمخشري صفات ومضافات من قبيل : مذهب خاتم ، مذهب سوار ، مذهب باب و مسجد الجامع ودار الاخرة^(٢) وهي في القرآن . والمثالان الأخيران من باب تحويل الصفة والموصوف الى مضاف ومضاف اليه مما يكثر في عامية اليوم . ومن شواهده القديمة هذا البيت لجريز :

يا ضبُّ ان هوى القيون اضلكم

كضلال شيعة اعور الدجال

أي الأعور الدجال .

(١) ص ٦٥

(١) الفصل ٩١ - ٩٢ .

وتوجد بعض الشواهد العامة على سبق المضاف اليه للمضاف مأخوذة من اصل فارسي او تركي . منها سفرطاس عراقية للأوعية المترابطة التي يحمل فيها الزاد من مكان لآخر . والأصل : طاس السفر . ومع قلة هذه الأمثلة فهي تصلح كسابقة .

سخر بعض الأدباء من هذه الصياغات لانها لا تتلاءم مع الأذن الأدبية التي تعودت على انغام لغوية معينة . واللغة كما قلنا من قبل ليست مملوكاً ادبياً ، رغم كثرة الأدباء والشعراء عندنا ، وينبغي اخضاعها لحاجات العقل أولاً .

وقد سجل اللغويون المعاصرون هنا بعض التراجعات حين اضطروا الى الاعتراف ببعض النحوت والتركيبات التي سادت وشاعت طوال القرن الفائت مثل : برمائي ورأسمالي ، اللتين ثبتهما المعاجم الحديثة . وفي هاذين الاصطلاحين سابقة خطيرة لم يستفد منها الكتاب لوقوعهم تحت الارهاب النحوي . فقد جمع فيهما بين لفظين بشكل اقتضى تسكين الأول منهما خلافاً لحكمه في النحو . وهذا ضرب من الكفر جعل البعلبكي - حامل اللقب المنحوت - يتحرج فيضطر وقد تجرأ على النحت الى اجتزاء البواديء حتى يتجنب تسكينها فقال : تحذ بدل تحت ، وفو بدل فوق . وكان بوسعه الاستناد الى سابقة برمائي ورأسمالي فيأخذ البادئة بكامل حروفها ويسكن آخرها ثم يلحقها بما يليها . ومع استئثار التقاء الساكنين يمكن تحريك عين البادئة تبعاً للأصول اللغوية التي مرت بنا . اما الاجتزاء فيكون مع عدم اللبس وصلاحيه التركيب . ومنه : قب اجتزاء قبل . واذكر أنني قرأته لأول مرة عام ١٩٦١ في كتاب ترجمة الاستاذ عبد الحق فاضل . وقد اخذ به المورد في تركيبات موفقة .

ولا تخلو بعض المعاجم من إقدامات جريئة على النحت والتركيب تبدو وكأنها اختلاس لغفلة اللغويين . واشير هنا الى معجم صغير انكليزي عربي صدر عن المجلس الأعلى للعلوم في القاهرة عام ١٩٦١ بعنوان «المصطلحات الفنية» وجاء فيه :

بطنمائي بطنتاسلي ، بطنصفتي ...

وكما بينت قبل قليل فالأمثل في هذه التركيبات تحريك عين البادئة وتسكين آخرها لأن اعرابها سيعرض لفظ المنحوتة للتغير بحسب موقع البادئة من الاعراب . ومن المعتاد ان تكون حركة العين هي الكسر اذا كان فاء الكلمة مفتوحاً او مكسوراً (مع وجود حالات يفتح فيها عينه مع فائه) والضممة اذا كان مضموماً . ان التركيبات التي وردت في المعجم المشار اليه هي مما يعتمد على البواديء . وقد سبق اليها اسماعيل مظهر في «قاموس النهضة» لكنه لم يجزأ على التسكين ففصل بين الجزئين بحرف الياء فقال :

ارضي مائي مقابل : Terrazuevous

وهو اصطلاح انكليزي مأخوذ من كلمتين لاتينيتين تعني الأولى ارض والثانية ماء . وقد جراه البعلبكي فجعل الياء حاجزاً بين جزئي المصطلح يخلصه من مغبة التسكين .

ان البواديء هي اليوم من اركان اللغة العلمية ، وينبغي التوسع فيها لصياغة مصطلحات موحدة تقابل نظائرها في اللغات الأوروبية ، سواء باجتزائها ام بأخذها كاملة ودمجها مع اللفظ المطلوب . ويجد القارئ ملحقاً بهذا الفصل يتضمن البواديء التي استعملت حتى الآن ، وما اقترحه منها مع بعض الكواسع الشائعة في لغة العلم حالياً .

من النحوت الجريئة التي تستحق التنويه ما تضمنته ترجمة كتاب «الاستشراق» للعالم الفلسطيني المغترب ادورد سعيد . وقد عربه كمال ابو ديب وصدره بقائمة مصطلحات منحوتة او مركبة وفق في اكثرها . من هذه النحوت :

اجتصادي : نحت من اجتماعي واقتصادي يقابل Socio-Economic

اجتياسي : نحت من اجتماعي وسياسي يقابل Socio-politic .

زا : بادئة تقابل EXTRA مختزلة من زائد كاختزال الدال والقاف من قاعد والباء من باقي في الجمل الاستمرارية .

رأينا من النحوت القديمة التي مرت بنا نحت العبارة كالبسمة والحقولة ، وهو ممكن في المصطلحات التي ترجمها المعاجم الى عبارة . وقد شاعت مؤخراً لفظة مجوقلة بمعنى القوات المنقولة جواً نحتت وفقاً لهذه المعادلة :

$$\text{ج (جو) + واو (جو) + ق (منقولة) + ل (منقولة) = جو قل}$$

وهي تطبيق حرفي للقاعدة التي نص عليها ابن مالك ، وبنيت على الترتيب العكسي . للعبارة جو - نقل .

ويمكن الاستفادة من هذه السابقة لصياغة مصطلحات ماثلة . فمثلاً : قياس السوائل ، قياس الحرارة ، قياس الرطوبة . . . عبارات مثل هذه يمكن ان تختزل في مفردة واحدة على النحو الآتي

$$\begin{aligned} \text{ق (قياس) + ياء (قياس) + س (سوائل) + ل (سوائل) = قيسلة} \\ \text{ق (قياس) + س (قياس) + ح (حرارة) + ر (حرارة) = قسحرة} \\ \text{ق (قياس) + س (قياس) + ر (رطوبة) + ط (رطوبة) = قسرطة} \end{aligned}$$

وتبدو النتيجة الأولى والثانية معبرة بوضوح عن معناها، لكن الثالثة بعيدة نوعاً ما . ولا بد هنا من الانتقاء بعد تطبيق القاعدة في ضوء اعتبارات الوضوح والصلاحية . والانتقاء مبدأ عام في عمليات النحت نجد من آثاره في اللغات الأوربية تفاوت تركيباتها بين النحت والمركب المزجي والمركب الاضافي تبعاً لهذه الاعتبارات .

هناك تركيبات غالباً ما تخص اسماء الاعلام تعتمد على رؤوس الكلمات التي يتألف منها الاسم . وقد شاعت في اللغات الأوربية كالينوسكو والاوليك ، ورأيت منها في اللغة الصينية اختراهم لجامعة بكين واسمها الكامل : بِي جينغ - داشيوي وفقاً لهذه المعادلة :

$$\text{الباء (فاء بي) + (الياء عين بي) + الدال (فاء دا) + الالف (عين دا) = بِي دا}$$

وهكذا اختصرت الجامعة الى ييدا الذي صار علماً يعوض عن لفظها الكامل في لغة الكلام .

ولدينا في العربية تركيبات مماثلة منها : فتح المؤلف من الحروف الأولى لـ «حركة التحرير الوطني الفلسطينية» على الترتيب المعكوس . وقد انتشر الاسم كما نعلم واصبح علماً قابلاً للتصريف فيقال : فتحاوي للمتسبب الى فتح . ومنها : أشيد مرتب من الحروف الأولى لـ «اتحاد شبيبة اليمن الديمقراطية» . ومنها أيضاً حدك ركه الشيوعيون العراقيون من الحروف الأولى لـ «الحزب الديمقراطي الكردستاني» وصار يقال في تصريحه : حدكي وحدكيون

وهكذا بالتوسع في وسائل النحت والتركيب نستطيع أن نقدم حلولاً هامة لمشاكل الاصطلاح ونضفي على اللغة العربية مزايا اللغات الاشتقاقية والتركيبية على السواء .

اود في ختام هذا الفصل ان انوه بدراسة قيمة عن النحت كتبها الاستاذ كيفورك ميناجيان في «اللسان العربي» - م ٩ ج ١ - وهي اوفى دراسة عن هذا الموضوع أمل ان يتدارسها الكتاب والمفكرون ويستفيدوا منها .

ملحق ببعض البواديء والكواسع

- أحا : بادئة اقترحها للدلالة على الواحد : فيقال .
- احا - خلوي : لما هو من خلية واحدة من الأحياء .
- احا - عشري : للمضلع ذو الأحد عشر وجه .
- أحادي : الأصل الكامل لـ أحا . تصلح للحالات التي لا يستساغ فيها الاختصار .
- الكترو : بادئة تفيد معنى الالكترون يمكن الاستفادة منها في المصطلحات المحتوية على مفهوم الالكترون متصلاً بمفهوم آخر .
- اورو : بادئة تفيد اوربا . مثالها :
- اورو- مركزية : للقول بأن اوربا ام العالم ومركز الحضارات . .
- انسو : اقترحها لما يتعلق بالانسان . كأن يقال :
- انسو- مركزية : للقول بمركزية الانسان وكونه غاية الوجود .
- بيو : بادئة تفيد الحي والحياة . مثالها :
- بيولوجي : لعلم الاحياء .
- بيوكيمياء : الكيمياء الحيوية .
- بعد : بادئة تفيد الزمان التالي . وضعها ملحم قربان - الجامعة اللبنانية - في كتاب مطبوع بالاستئسل لطلابه في السياسيات . مثالها عنده :

العصور البعد - نابليونية .

وامثلتها الممكنة كثيرة :

بعد - طوفاني ، بعد - مغولي

بعد - حياتي ، بعد - فكتوري .

بعد - صليبي ، بعد - ماوي ...

تحت : مثالها :

تحت جلدي ، تحت ارضي ،

تحت - مركزي ، تحت - قمري ...

ثنا : بادئة اقترحها لما يدل على الازدواج والاثينية . مثل

ثنا شهري : للدوريات التي تصدر كل شهرين .

ثنا - فُلقي : للبذور ذات الفلقتين .

وعلى قياس احاوثنا يمكن المضي الى العاشر :

ثلا ، ربا ، خما ، سدا ، سبا ، ثما ، تسا ، عشا

جيو : بادئة تدل على الأرض والجغرافية . مثالها :

جيو فيزياء ، جيولوجيا ، جيو سياسة

دون : بادئة تفيد المستوى الأدنى . مثالها :

دون - بشري ، دون - علمي ، دون - بلاغي ،

زاي الازالة (البعلبكي) مثالها :

زملحة : ازالة الملوحة من الشيء .

زموهة : ازالة الماء .

زكربة : ازالة الكربون ...

ويمكن ان تشتق منها افعال : يزملح ، يزموه ، يزكرب ...

زا : (كمال ابوديب) : بادئة تفيد التجاوز والمبالغة . مثل :

زا - بلاغي : للاسراف في البلاغة .

زا - حراري : للحرارة المفرطة في شيء ما .

سوء : معروف . ومثاله :

سوء هضم ، سوء فهم ، سوء ادارة

السوء هضم ، السوء فهم ، السوء - ادارة .

والتركيبات الأخيرة مألوفة في كلام المثقفين .

سيكو : بادئة تفيد النفس . مثالها :

سيكوسياسي : لعلم النفس السياسي .

سيكواجتماعي : لعلم النفس الاجتماعي .

شبه : معروف ومثاله :

شبه قلوي ، شبه جامد ...

الشبه قلوي ، الشبه جامد ...

ضمن : (البعلبكي) بادئة تقابل INTRO ومثالها كما ينبغي ان يكون :

ضمينعضلي ، ضمينخلوي ...

ضد : بادئة تفيد المعارضة والتضاد . وردت بهذا المعنى في نص للمعري في «الصاهل والشاجح» تحدث فيه عن ظلم الانسان للحيوان :

«كم اشكل ابن آدم الثائجة على غرير فبانت عينها ضد قريرة من غير جريرة» .

وللضد استعمالات عديدة سبق اليها ملحم قربان في اصطلاحات
من قبيل : ضِدْ - ملكي ، ضد - مسيحي وعما تمكن فيه :

ضد حيوي : للعقار المضاد للجراثيم .
ضد سمّي او ضد سمومي : للعقار المضاد للتسمم وهو الترياق .
ضد حشراتي : للمبيدات . وهي المحاليل المبيدة للحشرات .
غير : بادئة قديمة للسلب منها :

الغير عادي ، الغير متناهي ، الغير محدود ، الغير دائم .

فوق : بادئة تفيد التجاوز والافراط . منها :

فوق - طبيعي ، فوق - عادي ، فوق - سمعي ، فوق
- بنفسي

فيزيو : بادئة تفيد الطبيعة والفيزياء . مثالها الممكن :

فيزيو - ذري ، فيزيو - نووي . . .

قب : بادئة مجتزأة من قبل ومنها :

قبيلادي ، قبهجري ، قبتاريخ ، قفلسفي ، قباركسي ،
قبمسيحي

كهرو ، وكهر : دال على الكهرباء . ومنه :

كهروطيسي ، كهروجوفي ، كهروحراري ، كهروضوئي ،
كهرمائي . . .

لا : بادئة قديمة تفيد السلب مثل :

لامتناهي ، لامسموع ، لامحدود ، لامتوازن ، لامتغير . . .

نص ونصف : للدلالة على التنصيف . ويمكن استعمال الصيغتين
المختصرة والكاملة . مثل :

نص دائري ، نصّف دائري ، نص شهري ونصف شهري .

عدة : بادئة اقترحها مقابل POLY و MULTI في اللغات الأوربية . يقال : عدة - اصول ، عدة - تقنيات ، عدة - جنسيات . وفي التطبيق نظرية العدة - اصول (في اصل الإنسان) .

الشركات او القوات العدة - جنسيات .

المدرسة العدة - تقنيات .

بلد العدة - قوميات ... الخ .

ويمكن المبادلة بين هذه البادئة وعديد ، لاختيار الاسوغ كأن نقول : «الصين دولة عديدة القوميات» بدلاً من «الصين دولة عدة القوميات» لأن الأخيرة ملتبسة .

وتستعمل حالياً بدل عديدة ، متعددة والأولى أخف لأنها اربع مقاطع والثانية ستة .

رد - بادئة استخدمت احياناً مقابل البادئة اللاتينية RE . ومثالها رد فعل مقابل RE-ACTION وقد مثنى هذا الاصطلاح على اساس انه مركب من مضاف ومضاف اليه . ويمكن ان نطبق عليه قاعدة الدارقطني فنقول : الرد - فعل ونسب اليه فنقول : الردفعلي . وعندئذ تأخذ رد وضع البادئة الملتحمة بالاسم . ومن الجدير بالذكر ان هذه البادئة ترد في عامية بغداد مع الفعل ؛ حيث يقال : ردّ يكتب ، ردّ يلعب اي عاد يلعب وعاد يكتب ، مما يضع اساساً لاستخدامها في لغة الكتابة لا سيما وانها تحتوي على عنصر اختزال . فبدلاً من ان يقال كما هو حالياً : «عاد الى الكتابة» نقول : ردّ يكتب ، وبدلاً من : اعادة الانتاج نقول : ردّ - انتاج ...

الكواسع

الالف والنون : كاسعة وردت في دالتين

١ - للمبالغة في الوصف ، وهي قديمة مثل :
روحاني مبالغة من روحي

جسماني مبالغة من جسمي

وربما أفادتنا تمييزاً في الاصطلاح لأننا قد نذكر روحي ونقصده به
الامور الدينوية الغير مادية ، ونذكر روحاني فنقصده به الديني حصراً .
ومن المستحدث منها : تاريجاني للمبالغ في حتمية التاريخ .

٢ - للتشبيه . وهي دلالة حديثة . ومنها

بشراني : للكائن الشبيه بالبشر ، اي النسناس . وضعه اسماعيل
مظهر .

واو النسبة : كاسعة مستحدثة تفيد مايلي :

١ - غير الكامل من الظواهر . مثل :

رأسالموي : لوصف مجتمع تتكون فيه بعض خصائص الرأسالية
دون ان يتحول الى مجتمع رأسالي تام ، كالمجتمع الاسلامي في ذروة
ازدهاره . وضعه نزيه الحكيم .

٢ - للدلالة على الافتعال أو الزيف أو الادعاء . ومنها

علوي : لمدعي العلم والفكر العلمي . وضعه نزيه الحكيم وينسج
عليه :

انسانوي : لمن يدعي الانسانية وليس من أهلها

اشتراكوي : للاشتراك في المزيف

ديمقراطي : للديمقراطي المزيف . . .

ات : رمز استخدمه كمال ابوديب الى جانب رقم السنة ليفيد العقد

الواحد من القرن . مثل

١٨٣٠ - ات : ثلاثينات القرن التاسع عشر

١٩٧٠ - ات : سبعينات القرن العشرين

الاصطلاح من العامية

يمكن للعامية ان تزودنا بجملة من الاصطلاحات الصالحة في بعض المناحي ، حيث تتوفر مفردات قاموسية أو مولدة أو معربة لا مقابل لها أو اصلح من مقابلها في لغة الكتابة . وقد ثبت مجمع القاهرة هذا المبدأ في قراره الذي اقتبسناه من قبل ، واكد المهندس حسن فهمي في «المرجع» داعياً الى «الاهتمام بالعامية ولغتهم وضرورة تسهيل المصطلحات عليهم وتبادلها معهم ومراعاة ذوقهم عند اختيار المصطلح في القضايا الصناعية التي تهم الصناع دون العلمية والفلسفية
وهذه امثلة على الممكن في هذا الباب :

القد : يستعمله الصناع المصريون مقابل gauge ، الذي يستعمله الصناع العراقيون بنفس اسمه الانكليزي . وقد حققه الاستاذ فهمي واكد دقته ودعا الى اقراره كاصطلاح رسمي . والقد فصيح ، وموجود في العامية العراقية الى جانب المصرية ، ولكن في معنى عادي . يقال هذا على قدك» اي انه مقبوس عليك وصالح لك .

الفرملة

للكابح في المركبات . معربة ، في مصر وسوريا مقابل BRAKE الانكليزية . وبنائها : مفعلة . تقبل التصريف فيقال : فرمل يفرمل ، مفرمل .

المونة

في سوريا والعراق ومصر . اصلها ما يتمون به الناس من المواد اللازمة للحياة . لفظها الاصلي بالهمز ، كما في هذا الرجز الذي اورده الزخشي في «اساس البلاغة» .
«اميرنا مؤنثه خفيفة»

وقد مر بنا ان الهمز وعدمه يتساوقان في المفردة العربية .

هذه المفردة يمكن ان تعطي مقابلاً للاصطلاح الانكليزي
SUBSTANCE في احد معانيه الدالة على قوام الشيء ومحتواه الاساسي ،
وهو ما يرادف الهيولى احياناً .

وقد نبهني الى هذا المعنى الصديق الدكتور محمد عبد اللطيف من
اساتذة الفيزياء والفلسفة في جامعة بغداد .

الحنطور :

مصرية معربة . تسمى بها عربة الركاب التي تجرها الخيل . يجري
لفظها على وزن (فعلول) . ويسد هذا الاصطلاح فراغاً في لغة الكتابة
الفقيرة في المفردات الدالة على وسائط النقل ذات العجلات .

الشلب : عند الزراع العراقيين ، للرز الختام قبل ان يجرش
ويقشر . وهي مقابل مضبوط للكلمة الانكليزية PADDY المأخوذة من لغة
الملايو . تضع المعاجم مقابلها : ارز غير مقشور بينما توجد هذه المفردة
الدالة عليها حصراً .

تقدم العامة ايضاً بعض الاوزان الملائمة لاصطلاحات معينة . فقد
توسع العامة في وزن المطاوعة (منفعل) كما بينا من قبل وتفوقوا فيه على
الكتاب المعاصرين . وينبغي مضاهاتهم فيه لتوسيع دائرة الاشتقاق
للمفردات الدالة على المعنى المقابل للاحققة الاجنبية ABLE . وهناك ايضاً
الوزن الخاص بالآلة ، وقد نوهنا به ، وهو يصاغ من احد فعلين مهموز
الآخر مثل : يدق فيقال دفاية ومعتل الآخر مثل : يغلي فيقال غلاية .

على ان ما تقدمه العامة هنا محدود ، بحكم الانقراض اللغوي ،
ويغلب على مجالات الصناعة والتقنية مصطلحاتها الاجنبية الخالصة ، لان
العامة لا تملك أدوات تكوين المصطلح وانما تملك حسها اللغوي السليق
فتعرب المصطلحات وتخضعها في الغالب للبناء العربي مثال :
وابور، بكباشي ، صوجر ، تريل ، حفيز ... وعلى غرارها معظم

المفردات العامة الحديثة : مأخوذة عن اصلها الاجنبي ومحورة بحسب الابنية العربية . ولا تقدر العامة على غير هذا . ولعلها لو تركت دون تدخل ثقافي لصنعت لنا الحميا دوا اخرى^(١) .

الاستفادة من المترادف لتنويع الاصطلاحات

الالفاظ المترادفة من مصادر الغنى في اللغات وفيها مزايا عديدة للغة الكتابة ولغة العلم . فالمترادف يمنح الكاتب حرية اوسع في صوغ عباراته تبعاً لمقتضيات الشكل والمضمون ويمكنه من تنويع تعابيره تبعاً لتنوع احاسيسه ، كما يتيح للمفكر والعالم قدراً اعلى من الدقة في تحديد قضايهما بالاستفادة من الفروق الدقيقة بين المترادفات . ويعتمد ذلك على مدى تعمقهم في اللغة واستيعابهم لقاموسها ، فهو لا يتأتى لكاتب متسكع يستمد مفرداته من الصحف وأفكاره من ثروة المقاهي والجلسات الليلية ، ولا لمفكر أو عالم يضع حاجزاً بينه وبين اللغة باعتبارها من خصوصيات الادباء .

وللمترادف في العلم والصناعة دور اكبر مما في اللغة العامة أو لغة الادب ، فهو مصدر هام لتشقيق الاصطلاحات وفقاً للمعاني الدقيقة لموضوعات العلم والصناعة . ولناخذ بعض الامثلة من اللغتين العربية والانكليزية . .

المترادفات الدالة على الجسم :

١ - في العربية

جسم ، جسد ، بدن ، جرم ، جثمان ، جثة .

وقد تخصصت في الاستعمال خلال الاطوار المختلفة فصارت على

النحو التالي :

(١) انسحبت معظم هذه المفردات من التداول امام المقابلات الفصيحة التي وضعت لها وكانت غالبية على لهجات الجيل الماضي . الكلمات اعلاه هي بحسب ترتيبها :

VAPOR (للقطار) بكباشي (تركية للرائد في الجيش) OFFICE ' RAIL ' SOLDIER

الجسم : لعموم الشيء الذي يشغل حيزاً في الفراغ ويعم الجمادات والاحياء

الجسد : يختص بالانسان في اللغة المعاصرة .

البدن : يعم الانسان والحيوان . ثم اطلق على هيكل المركبة .

الجرم : يختص بالفلكيات

الجثمان : لجسم الانسان الميت

الجثة : مشتركة بين الانسان الميت والحيوان الميت

وصرنا نقول : أجسام الحيوانات وأجساد البشر وجسد المرأة وبدن

الانسان والاجرام السماوية والصفات الجسدية للرجل والمرأة والصورة

الجسمية (في الفلسفة) والتربية البدنية وجثمان الفقيد وجثث القتلى . ومع

عدم الاقتران يمكن ان نقرأ الجسم فنعرف انه المعنى العام للمتحيز والجسد

فينصرف ذهننا الى المرأة والأجرام فنعرف ان المقصود هي النجوم وما اليها

والجثمان فنعرف ان ثمة فقيداً عزيزاً على المتكلم أو هاماً عند الناس

٢ - في الانكليزية :

CORPUS, BODY

ويستعمل الاول في جميع المعاني التي تؤديها مترادفات الجسم

العربية أما الثاني فهو لاتيني يستفاد من تصريفاته للدلالة على الموضوعات

المادية والجسمية . والانكليزية هنا شحيحة لا يجد فيها الكاتب أو المفكر أو

العالم ما يجده نظائرهم العرب من الحرية والدقة التي يوفرها تعدد

مرادفات الجسم .

المترادفات الدالة على العربية

١ - في الانكليزية :

CAR, CAB, VEHI CLE, WAGON, CART, CHARIOT,

COACH, CARRIAGE, PRAM,

وقد تخصصت في الاستعمال قديماً ، واعيد توزيعها حديثاً لحل

مشكلة تسمية وسائط النقل الحديثة . فصارت على الوجه التالي :

CAR ، يضاف اليها MTOR فتعني سيارة . ثم استقلت وحدها

بالدلالة عليها مع مرور الوقت .

CAB اختصت بسيارة الاجرة ومقصورة سائق القطار

VEHICLE لعموم المركبات

WAGON لعربات القطار

CART للعربة العادية

CHARIOT للعربة الحربية ، وهو معناها القديم .

COACH تستعمل في بريطانيا للباصات الكبيرة المستخدمة في النقل

بين المدن .

CARRIAGE للعربة العادية

PRAM لعربة الطفل

٢ - في العربية : عربة .

وقد حاول المعاصرون تعويض هذا النقص عند معالجتهم للتسمية

في وسائط النقل الحديثة . فوضعوا :

سيارة = MOTORCAR

مركبة = VEHICLE

حافلة : COACH

حنطور : CART

ووقفوا عند هذا الحد . وصار عليهم ان يقولوا : عربة قطار ،

سيارة اجرة ، عربة الطفل ، عربة حربية .. مما يخلّ بلغة الاصطلاح الذي يفضل تركيبه من مفردة واحدة .

وكان يجب للوصول الى حل معقول لهذه التسميات التوسع في

الاشتقاق على غرار حافلة ومركبة أو احياء مرادفات قديمة كما في قطار

وسكة ..

تأصيل تاء التأنيث

ورد من بين اسماء الفرق الاسلامية فرقة تسمى الاباحية نسبة الى الاباحه تأصل فيها تاء التأنيث فصار جزءاً من بنية الكلمة اذ النسبة في مثل هذه الكلمات تكون عادة بحذف التاء : اباحي .

تأصيل تاء التأنيث نسب الى حمير . وورد عن بعض الاسلاميين وقوفهم على التاء في مثل سورة البقرة ولفظها : البقرتُ . ولم تكن لديهم حاجة الى الاكثار من هذه الصورة فظلت نادرة ، حتى ظهرت على نطاق اوسع ولكن خارج اللغة العربية . وكان ذلك في المفردات المؤنثة التي دخلت اللغة التركية . فقد أصلت الاخيرة أواخر هذه المفردات واخذت تلفظها كاملة مع تائها . ومنها : سياست ، دولت ، حریت ، جمهوریت .. وفي اسماء الاعلام : حكمت ، فكرت ، نشأت ، عصمت

وفي تأصيل تاء جمهوريت سابقة هامة في اكساب الاصطلاح دلالة على المذهب تقابل اللاحقة الأوربية ISM . وتشكل اللاحقة هنا من الياء المشددة مع التاء : ييت ولو أن اوائلنا الذين ترجموا المصطلحات الدالة على هذه المعاني قبل قرن مضى التفتوا الى هذا التأصيل لجنونا اشكالات جلية في حقل يزدحم اليوم بهذه المصطلحات . وتأتي هذه الاشكالات من التباس المصادر الصناعية ببعضها ، نظراً لاتخاذها صورة واحدة مع اختلاف موضوعاتها ، ومع الاسماء المنسوبة التي تتخذ نفس الصورة فلو اخذنا مثلاً كلمة امة وتابعنا تصريفاتها في اللغة الانكليزية ومقابلاتها في العربية لوجدنا :

في الانكليزية

1 - NATION 2 - NATION AL 3 - NATIONALIST 4 -

NATIONALITY 5 - NATIONALISM

في العربية :

١ - امة ٢ - قومي ٣ - قومي ٤ - قومية ٥ - جنسية وقومية وتجد هنا تلابساً بين ٢ و ٣ ، وبين ٤ و ٥ . وفي حالة تأنيث ٢ و ٣ يكون التلابس شاملاً لكل هذه الفئة من المفردات عدا الاولى . ومنشأ هذه الحالة فقر اللغة العربية في أدوات النسبة لاننا نعبر باداة واحدة هي الياء المشددة عن الكلمات الاوربية التي تنتهي بـ ISM , ITY , IST, AL, IC (على اختلاف نطقها ورسمها في هذه اللغات) وبعض الالتباس يزول في سياق العبارة وتوفر الخيار لدى الكاتب بين التذكير والتأنيث في الاسماء المنسوبة . ولكن كان في الوسع اجتناب المزيد من الاشكالات لو اخذنا بقاعدة تأصيل الناء ، لاننا عندئذ سنقول :

قومي NATIONAL

قومية NATONALITY

قوميت NATIONALISM

قوميتي NATIONALIST

وربما استشنع البعض هذه الصيغة واتهم الكاتب أو المتكلم بالعجمة ، لكننا في الحقيقة ننطقها اليوم دون أن نشعر بغرابتها وذلك في اسماء الاعلام التي انتقلت بوضعيتها التركية المؤصلة ، مثل حكمت ونشأت وعصمت ونزهت وغيرها . وكان يمكننا أن نألف : جمهوريت ، واشتراكييت ، وديمقراطييت لو أخذنا بها منذ البداية . والامر متروك على اي حال لاختيارات الكتاب والمفكرين التي يجب ان تلين لضغط الحاجة وضرورات العصر .

قضايا معجمية

نقد المعاجم الحديثة

حين صدر المعجم الوسيط عام ١٩٦٠ عن مجمع القاهرة قال الدكتور ابراهيم مذكور ، الأمين العام للمجمع ، في تصدير المعجم : « ان اصحاب المعاجم القديمة وقفوا باللغة عند حدود زمانية ومكانية ضيقة ففقدت كثيراً من معالم الحياة والتطور . وحين حاول بعض اللغويين منذ اخريات القرن الماضي تدارك هذا النقص لم يستطيعوا التخلص من قيود الماضي ولم يجرؤوا على ان يسجلوا شيئاً من لغة القرن العشرين . . »

ان الوسيط هو احدث معجم عربي ، وقد بين الاستاذ مذكور في تصديره الأنف انه ضم الفاظاً حديثة ومصطلحات علمية لم يرض المعجم الفرنسي ان يدخلها في معجمه الا بعد مضي مئة سنة تقريباً من نشره وفي الطبعة الرابعة .

اشتمل هذا المعجم على جملة مزايا اراد منها ان يفني بوعده الأمين العام نعددها فيايلى :

١ - تضمين بعض الألفاظ المولدة والمحدثة والمصطلحات الحديثة التي ظهرت خلال القرن الماضي .

٢ - قبول المعرب على نطاق واسع .

٣ - ادخال بعض المفردات العامة .

ويكون المعجم الوسيط بذلك قد الجم المتزمتين الذين تخصصوا في صنع العثرات ووضعها في طريق تطور اللغة .

لكن الوسيط لم يذهب في نهجه التطويري الى المدى المطلوب من معجم حديث . وانا اسجل عليه :

١ - اغفاله الكثير من المحدث الذي استقر في لغة الكتابة منذ بداية نهضة المصرية . وقد بلغ به الأمر حد اهمال مفردات اوردها القاموس حيط وشاعت في العصور الاسلامية والعصور الحديثة . من ذلك : لاء التي اكتفى بذكر مرادفها المهمل : إملال .

٢ - تمسكه بالمعاني القديمة لبعض المفردات واهمال معانيها الحديثة . ومن هذا القبيل تفسيره لاصطلاح الباعث بأنه اسم من اسماء الله تعالى . والباعث في اللغة الحديثة هو السبب والحافز وهو بهذا المعنى من المصطلحات الأساسية في علم النفس ومن المفردات الرائجة في لغة السياسة والصحافة والحياة اليومية . ولا ادري ما سيقول القارئ الذي يقرأ عبارة مثل : «ان الباعث على الغزو الأمريكي للشعوب هو نهب خيراتها » ثم يرجع الى احداث معجم عربي ليعرف معنى هذه الكلمة فيجد انها اسم من اسماء الله تعالى ؟

٣ - يستعرض المعجم الوسيط كل معاني المفردة التي تعاقبت عليها خلال التاريخ دون ان ينبه الى المعاني المتروكة . وقد سبب بذلك ازدهاماً في معاني المفردة الواحدة يضيع على القارئ فهم المراد منها في الوقت الحاضر . وقد يُرد علينا ان هذا هو شأن المعاجم العربية القديمة بل والمعاجم الانكليزية الحديثة التي يتيه القارئ في ادغال معانيها المتعددة والمتضاربة . والفرق هنا ان المعاجم العربية القديمة كانت تهدف الى جمع اللغة ، فهي معاجم تاريخية في المقام الأول ، اما المعاجم الانكليزية فان الحديث منها والمخصص للقراء يقتصر على المعاني المتداولة ويهمل المتروكة . وهي مع ذلك لا تصلح قدوة لنا لأن الانكليزية تكابد كما قلنا من قبل تفاقماً في ظاهرة الجناس توجب الدعوة الى الاصلاح لا الى الاقتداء .

٤ - اتبع الوسيط لغة في شرح المفردات موغلة في القدم . ويكفي ان نقرأ هذا المثال :

الرسوب : السيف الماضي في الضريبة .

وقد عرضت هذه الجملة على طالب جامعي وطلبت منه تفسيرها فأجابني بما يلي :

الرسوب : هو المادة القابلة للترسب . الماضي : ضد الحاضر .
الضريبة : هي ما تأخذ الدولة من الاغنياء والتجار وفق نسب معينة .
وعلى اي حال : هل يحتاج معجم حديث الى اثبات اسم ميت
وملتبس للسيف مع كثرة اسائه في العربية ، وشرحه بهذه اللغة
المسوخة ؟

٥ - تمسك الوسيط بالقياسات القديمة في الجموع دون النظر الى
صلاحها ومعقوليتها . مثال ذلك جميع السائق على ساقفة . قياساً على قادة
لقائد وسادة لسيد . والساقفة هي مؤخرة الجيش . أما الجمع سائق فهو
سواق - كقواد - عند العراقيين وسائقون عند غيرهم من العرب . وكلا
الجمعين فصيح ومعقول .

٦ - المفردات العامة التي اخذ بها المعجم هي عدد محدود يقتصر على
العامة المصرية ولا يتناسب مع الوعد الكبير الذي قطعه على نفسه في لم
شأت الالفاظ المولدة والمحدثة لمواكبة تطور اللغة .

ان المعجم الوسيط ليس في الحق من المعاجم الحديثة وهو لا يفيد
القارئ المعاصر في شيء ولا يصلح الا مرجعاً لمن يريد ان يعرف معنى
كلمة ترد في نص قديم او من يريد ان يؤلف معجماً فيضعه ضمن
راجعته . هذا فضلاً عن أنه اقتصر من المفردات على ثلاثين ألفاً . وكأنه
يد ان يكرس ظاهرة الانقراض اللغوي عند العرب . ان من المستحيل
لى لغة قوامها ثلاثون الف مفردة ان تعيش في هذا العصر الجبار !

المنجد :

من المعاجم الحديثة الهامة هو المنجد الذي اصدره الاب لويس
معلوف عام ١٩٠٨ واستمر يصدر موسعاً حتى اليوم باشراف المطبعة
الكاثوليكية في بيروت . وهو أعرق معجم عربي حديث ، ويعطينا انتظام
صدوره طيلة هذه المدة بدأب مؤلفه وآباء المطبعة الكاثوليكية من بعده مثلاً
على شرف الفكر الذي طالما اعياءه عن المثابرة . ويتميز المنجد بلغة في

الشرح احدث قليلاً من لغة المعجم الوسيط ، ومادته اوسع ، وهو بوجه عام أكثر تداولاً وشعبية من الوسيط . وقد أقدم ناشره مؤخراً على خطوة هامة جداً حين اصدروا «المنجد الابجدي» . مرتباً على حروف المفردة دون اعتبار لجذرها . وتحيب هذه الخطوة على اشكال كبير في استعمال القاموس ، لان القارئ الحديث غالباً ما يعجز عن إيجاد الكلمة التي يريدّها حين يتعذر عليه ارجاعها الى جذرها ، مع ما في البحث عن الجذور وارجاع الكلمات اليها من الصعوبات والاهدار في الوقت . لكن المنجد لا يفي بمطالب الاصلاح ولا يستوفي احتياجات اللغة الحديثة وفيه ما في الوسيط من عيوب الجناس وعدم الوقوف عند المعاني المتداولة للكلمات . وهو موصد امام المفردات العامة الا ما قل منها وان كان فيه الكثير من المصطلحات الحديثة التي احتوى الوسيط عليها كذلك ، ويعيب الابجدي من المنجد ان مفرداته غالباً ما ترد مقترنة بال التعريف مما يشوش على القارئ التقاطه للمفردة المطلوبة ويتبغى في المعاجم الابجدية ان ترد الكلمة عارية من لواحقها الا في اساء العلم وما في حكمها من المصطلحات .

نظرة في المعاجم الانكليزية - العربية :

لهذه المعاجم من الاهمية مالمعاجم العربية - العربية ، لكون اللغة الانكليزية تصيح بالتدريج متداولة على نطاق عالمي . ولدينا من هذه المعاجم ثلاثة هي الا رأس والاكثر انتشاراً : قاموس النهضة لاسماعيل مظهر ، العصري لالياس انطون الياس ، والمورد للبلعكي . ولكل من هذه المعاجم الثلاثة خصوصيات تتعلق بمفرداتها واصطلاحاتها العربية . فالنهضة واسعة ودقيق في عربيته القاموسية بمستوى يعكس افق مؤلفه ، وهو كاتب كبير من جيل طه حسين ومن المعنيين بالفكر العلمي ، مما يجعل لهذا القاموس مكانة في لغة الكتابة ستبقى الى امد بعيد . أما القاموس العصري فقد امتاز بادخاله المفردات العامة على نطاق واسع ، الى جانب عربية قاموسية صالحة للحياة . وبهذه الميزة يستحق هذا القاموس صفة

القاموس الحي التي اسبغها عليه الاب انتاس الكرملي عند صدوره .
على ان عامية القاموس العصري تشكو من عيبين : اولهما ان معظمها من
العامية المصرية . ورغم ان المؤلف سعى باخلاص الى توظيف عاميات
اخرى كالسورية والعراقية فإن خبرته بلهجته الخاصة جعلتها تطفى على
مفردات القاموس . الثاني انه اخذ المفردات العامية على علاتها ، وقد مر
بنا الكلام عن ضرورة التهذيب والانتقاء عند اخذنا من العاميات حتى
نستبعد غير الصالح منها ونتجنب ما فيها من اسباب التخلف والقصور .

المورد هو اوسع قاموس انكليزي عربي حتى الآن . وقد انفرد
بميزة النحت والتركيب فسجل خطوة متقدمة تشكل بحد ذاتها تمرداً على
حالة الموت اللغوي التي يفرضها علينا علماء اللغة . وكأي تجربة فردية
بديئة ، وقع البعلبكي في بعض الاختيارات المرفوضة . وقد اشرت الى
بعضها في مواضيع متفرقة من هذا الكتاب . فضلاً عن هذا فالمورد فقير في
عربيته القاموسية اذا قيس بالنهضة ، وتعوزه حيوية العصري في خلوده من
المفردات العامية والكثير من المفردات الحية في لغة الكتابة .

وتكثر في المورد حالات الترجمة بدلاً من وضع المفردة المقابلة
للمصطلح الانكليزي ، وهو عجز ناشيء من عدم استيفاء قاموس
الفصيح من جهة وتجنب العامي من جهة اخرى ، كما انه يعكس الجانب
السلبى في ثقافة المؤلف بوصفه اديباً ليست له مساهمات في الثقافة
العلمية .

لقد اعتبر المورد وكأنه ناسخ لما سبقه من المعاجم . وهذا تهويل اذا
جاز في قطاعه الانكليزي فلا يجوز في العربي . وفي اعتقادي انه ينبغي
على المترجمين الرجوع الى قاموسي النهضة والعصري ، فضلاً عن المورد ،
لاكمال بعض ما يحدونه من النقص فيه ، ولأن الجمع بين هذه المعاجم
الثلاثة بمزاياها المتنوعة سيوفر لهم مزيداً من الدقة والثراء .

تغيرات لفظية ودلالية

تعرضت طائفة من المفردات للتغيير في مدلولاتها او الفاظها من خلال تداولها في لغة الكلام او الكتابة . ويتبغي اخذ هذه التغيرات في المعاجم الحديثة بعد ان استقرت بمعانيها والفاظها المحرفة . ولاعطاء فكرة عن هذا النمط من المفردات نستعرض بعض الأمثلة .

الصبي والطفل

ورد الصبي في صدر الاسلام بمعنيين : الرضيع ، والصغير دون الغلام . وهما المعنيان اللذان نص عليهما المعجم الوسيط . لكن ابن سيدة قيده بالمعنى الأول . ثم كثر اطلاقه في العصر العباسي على المعنى الثاني ويوضحه قول الشاعر العباسي :

اسأل الله سكرة قبل موتي وصياح الصبيان يا سكران
وبالطبع فان الذين يركضون وراء السكران ويصيحون يا سكران ليسوا هم الرضيع . وقد سمي به حينذاك تلاميذ المراحل التعليمية الأولى فقالوا : معلم الصبيان وصبيان المكتب . وهذا المعنى هو المتداول اليوم ، ففي لبنان يسمون المدارس الابتدائية «مدارس الصبيان» وفي عامية العراق يقال للصغير اذا تخطى الطفولة : صبي . وكان قد اشتق من الصبي قديماً لفظ : الصبا لما يسبق الشباب او للشباب نفسه .

وهكذا يكون المعنى المعاصر للصبي مقابلاً للمفردة الانكليزية CHILD بينما يختص الطفل بكلمة BABY او INFANT ذات الأصل العربي كما يرى بعض الاشتقاقيين . والطفل بهذا المعنى من الفاظ القرآن كما في قوله : «ويخرجكم طفلاً» يشير الى طور الولادة .

ويجب ان يثبت ذلك في المعاجم الحديثة ويهمل المعنى الدال في الصبي على الطفولة لأنه لم يعد متداولاً .

الاعتبار

معناه الأصلي هو الاعتاض . ومنه في نهج البلاغة : «ما أكثر الصبر واقل الاعتبار» .

واستعمل في غضون العصر العباسي بمعنى الجرد ، كقولهم : «اعتبار خزانة الكتب» أي جردها وتدقيقها .

ثم استعمل في معنى الاحترام ، وقد رد الدكتور مصطفى جواد هذا المعنى الى القرن السابع الهجري^(١) . وهو في العامية العراقية بهذا المعنى فيقال فلان معتبر أي محترم ذو وجهة . ومنه الاصطلاح القضائي : رد الاعتبار .

وفي الوقت الحاضر : يعتبر بمعنى يعد ويحسب ومنه الأخذ بالاعتبار . وقد زال الاعتبار بمعنى الجرد ومعنى الاعتاض وبقيت العبارة اسماً مفرداً لا يقبل التصريف ، سوى ورود الفعل في كناية تتضمنها وهي : «صار فلان عبرة لمن اعتبر» والفعل بهذا المعنى لا يفهم خارج هذه الكناية .

وبقي الاعتبار والمعتبر بمعنى الاحترام والمحترم دون أن يتضمن فعله هذه الدلالة فلا يقال : «اعتبر فلاناً» أي احترمه لأن هذا الفعل في الوقت الحاضر ينصب مفعولين «اعتبر فلاناً محقاً» .

وهكذا يكون الوضع المعقول لهذه المادة في معجم حديث على الوجه التالي :

- اعتبار : حسابان . و- احترام (اصطلاح قضائي) .
- اعتبره : حسبه وظنه .
- عبرة : درس وموعظة .
- معتبر : محترم وهام .

(١) دراسات في اللغة . بغداد ١٩٦٩ ص ١٠ .

معناها الأصلي اقراض . وتولد للثاني في الوقت الحاضر معنى اثبات التهمة . ثم توسع هذا المعنى الى الاستنكار والشجب يقال : «ادان فلان فعل فلان» اي استنكره . واسم المفعول مدان . اما دان فقد اهملت بهذا المعنى وشاع بدلها اقراض وهناك كلمة قاموسية اخرى لهذا الفعل على زنة يفاعل هي يداين التي ترد في بعض العاميات . وبقي دان في لغة الكتابة بمعنى آخر من معانيه القاموسية وهو اعتنق . يقال دان بالاسلام ، ودان بالبوذية الخ .

وبذلك تأخذ المفردة في المعجم الحديث الوضع التالي :

ادان : اتهم وندد .

الادانة : تثبيت التهمة (قضاء) و- الاستنكار والتنديد .

دان : اعتنق (متعدية بالباء)

داين : اقراض .

الرضوخ

له في القاموس عدة معاني مهجورة كلها الآن . وقد استعمل في معنى جديد لا علاقة له بأي من تلك المعاني وهو : الخضوع والاستسلام . فيقال : رضخ للأمر اي خضع وانقاد له . ويجب ان لا تتجاوز المفردة في المعجم الحديث هذا المعنى وترك المعاني الأخرى للقواميس القديمة او التاريخية الحديثة باعتبارها مراجع لأهل الاختصاص .

تغيرات في قوام اللفظة

وطرأت على صعيدي لغة الكلام والكتابة بتأثير عوامل متباينة تغيرات في لفظ بعض المفردات ينبغي احتسابها في العمل المعجمي مع شرط الصلاح . ويتم ذلك بالنظر في هذه التغيرات فما كان منها محلياً صرفاً او يحمل بصمات عصر الانحطاط ترك للهجات المحلية لتستعمله في حدودها

المعلومة . وما كان منه جارياً على سنن الفصح اخذ في الحساب .
وينشعب هذا الغرار الى شعبتين : لفظ محرف عن لفظ قاموسي او مشتق
منه ، ولكي نحدد اللفظ المقبول ننظر في المحرف أو المشتق فما كان مؤدياً
لمعنى جديد اثبتناه ، وما كان مرادفاً للفظ فصح نظرنا فيها فان كان
الفصح صالحاً ومأنوساً دون المحرف او المشتق اثبتنا الفصح . وان كان
العكس اثبتنا المحرف أو المشتق . وان تساويا في الصلاح والشيوع اثبتنا
الفصح اولاً ثم اردفناه بهما بوصفهما من مرادفاتة . وقد مرت بنا امثلة في
باب «قاموس العامي» ، ونأخذ الآن امثلة من لغة الكتابة .

فوهة : يضم الفاء وتشديد الواو في الفصح . وفتح الفاء
وتسكين الواو في المحدث . والمحدث اخف فينبغي الأخذ به وترك
الفصح . ومن هذا الغرار : عبوة يلفظها المحدثون بالفتح والتسكين
ويصر اللغويون على الضم والتشديد . ويجب ان تعامل معاملة فوهة .

كري وكروي وبيضي وبيضوي : نسبة الى كرة وبيضة .
المحدثون ينسبونهما على كروي وبيضوي وهو افصح اذا اخذنا بمقاييس
الوضوح والسهولة ، وينبغي اهمال الصيغة الأولى .

بيضة وبويضة : تصغير بيضة . قياسها بالياء ويلفظها المحدثون
بالواو وهو اصلح واسوغ ، كما انه اكثر استقلالاً بالدلالة لأن ببيضة يتضح
فيها افتعال التصغير ، مع التقعر والخذلقة .

وزن فُعْلة

غيره المحدثون والعامية الى فُعْلة بتسكين العين . فقالوا : تهمة بدل
ثُهمة ، لُقطة بدل لُقطة ، رُطبة بدل رُطبة . وبقي منه قليل على وزنه
الأصلي مثل ثُوْدة .

والمحدث العامي أسهل وأبعد عن الخذلقة .

وزن فعلى :

اسقطته العامة فصارت تقول : عطشانة بدل عطشى . جوعانة بدل جوعى ، سكرانة بدل سكرى . وهي لهجة قديمة ترجع الى بني اسد^(١) . والوزن الاسدي - العامي اقرب الى الذوق المعاصر ويمكن ترك الصيغة الأخرى للغة الشعر والأدب .

وزن مُفعّل لاسم المكان

تجاوزته لغتنا الكلام والتلاوة الى الفتح فصار يقال : مُتحف بدل مُتحف ، مَدخل بدل مُدخل . وهو افصح لأن حالة الضم تلتبس باسم المفعول .

زنة فُعَل للجمع

اهملته العامة في معتل الوسط فقالت : غيارى واهل غيره . بدل عُير . وفي بعض الصحيح فقالت : عجائز بدل عُجُز . وابقت سائر الصحيح على فُعَل فقالت : حمر وصفر وسود وبيض . لأنه سائغ وخفيف وغير مشبهة .

(١) اورد له الزبيدي في «الحن العامة» بيتاً لعمارة بين عقيل :

ومن ليلة قد بثها غير آثم

بساجية الحجلين ريانة القُلب

واعتبره مخالفة ونقل عن ابوحاتم السجستاني انه لا يثق بعربية عمارة . رغم انه كان من الفصحاء الذين اخذ عنهم النحاة في البصرة .

المتجانس

يسميه الأقدمون «المشترك» واخترت له «المتجانس» اخذاً من الجناس - الاصطلاح البلاغي الذي يفيد نفس المعنى . والمشارك في لغة العصر الحاضر من مصطلحات علم الاشتراكية فأثرنا عدم المساس بدلالته المستقلة . المتجانس هو اللفظ الدال على أكثر من معنى . وقد اختلف اللغويون حوله وعقد له العلامة ابراهيم انيس فصلاً في «اللهجات العربية» تناوله من وجوهه المختلفة وانتهى الى الاقرار بوجوده ، مع عدم المبالغة فيه . واستعرض السيوطي في المزهر آراء اللغويين القدماء في هذا الشأن فذكر عن ابن فارس جواز وقوعه ، وهو قول الأكثرية ، وقد رده الى مناشئ متعددة احدها ان يقع اللفظ المتجانس من واضعين بأن يضع احدهما لفظاً لمعنى ثم يضعه الآخر لمعنى آخر ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في افادته المعنيين . الثاني ان يوضع لغرض الابهام على السامع حيث يكون التصريح سبباً للمفسدة كما روي عن ابي بكر وقد سأله رجل عن النبي وقت ذهابها الى الغار : من هذا ؟ فقال : هذا رجل يهديني السبيل . الثالث ان المتجانس من الضروريات لأن المعاني غير متناهية فاذا وزعت الألفاظ لزم الاشتراك فيها^(١) .

ويخلط ابن فارس في القسم الثاني بين الحقيقة والمجاز فالهداية في الحقيقي هي الدلالة على الطريق وفي المجاز هي الخروج من الضلال . والحقيقي والمجازي اصلان في اللغة لأنها تبدأ بالحقوقي - المحسوس ثم تتطور منه الى التجريد باستخدام المجاز . ولذلك لا يصدق وصف المتجانس على المفردة بمعنيها الحقيقي والمجازي . أما اشارته الى الوضع من واضعين فمرده لهجات القبائل التي يتألف منها القاموس العربي . وهي

(١) المزهر - النوع الخامس والعشرون من الجزء الثاني .

من عوامل وجود المترادف والمتجانس وبعض الأصداد في العربية .
وسنجد أنها تتكرر في قاموس حديث يقوم على الجمع بين لهجات البلدان
المختلفة على غرار ما فعل الأقدمون . وتعدد اللهجات في اللغات الكبرى
يثير بعض المفارقات في هذا المجال كما نجدهم اليوم في مصر وسوريا
بقولون مبسوط للفرحان وفي بغداد لمن يتعرض للضرب . ومثلها في اللغة
الصينية : خايزة في اللهجة المشتركة تعني طفل وفي لهجة كانتون تعني
حذاء ..

هناك رأي آخر بشأن المتجانس يحيله الى الألفاظ الدخيلة قال به
ابراهيم انيس ومحمد مبارك . وذكر الأخير من هذا النمط اقليد يونانية
عربت والملائكة وقال ان اصلها مشتبه اي انه يرجح كونها معربة .
والاقليد هو المفتاح ويرد في العربية مجموعاً (مقاليد) ويشق منه الفعل :
قلد اي سلم المفاتيح ويستعار للتولية والتعيين . يقال : تقلد السلطة
وقلده السلطة وتقليده السلطة ، فيتجانس مع التقليد بمعنى المحاكاة . اما
الملائكة فجناسها مع المليك لأن مفرداها يختلف عنه في الحركة فقط . ومثاله
هنا غير دقيق لأن الجناس في هذه اللفظة غير كامل وانما يشابه في الخط اذا
خلا من التشكيل . ووجود مفردات متائلة في حروفها الصحيحة
ومختلفة في حركاتها كثير في اللغات . ومنه في الانكليزية BUG, BEG,
BIG وفي الصينية^(١) بُنْغ ، بُنْغ ، بُنْغ . وعليها معظم القاموس الصيني .
وعلى اية حال يمكن العثور في العربية على متجانسات كاملة يرجع تجانسها
الى هذا السبب . ومنها قرن التي تعني قرن الحيوان والمئة سنة .
فكرت طويلاً في هذا الاقتران الغريب بين معنيين في غاية التباعد ثم تبين لي
ان قرن الحيوان مأخوذ من اللاتينية CORNU والمقابل العربي له هو
رَوْق . ولا ادري ما الذي اشاع اللفظ اللاتيني وأخفى اللفظ العربي مع
كفاءته وحلاوة جرسه وحدث بالتالي مثل هذا الالتباس الكبير ؟

(١) انظر : «في اللهجات العربية» ص ٩٦ ، «فقه اللغة» لمحمد مبارك ص ٧٢ .

(٢) الكلمات الانكليزية حسب تسلسلها : كبير ، يتسول ، بق . الكلمات
الصينية : مريض ، جليد ، يقفز .

انكر بعض اللغويين وجود المتجانس في اصل اللغة فقال ابن درستويه فيما نقل عنه السيوطي^(١) . « ان اللغة موضوعة للابانة عن المعاني فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين لما كان ذلك ابانة بل تعمية وتغطية . » وعلل وجود ما يعتبر متجانساً بعلل تستهدف القول بحدوثه لاحقاً لا اصلاً .

وانكار ابن درستويه يستند الى اساس متين لأن دلالة لفظ واحد على معنيين ينافي الغرض من اللغة وهو مبعث التباسات جدية . ولنذكر هذه الواقعة الظريفة نقلاً عن ابن الفوطي^(٢) :

« دخل الفقيه شريك بن عبد الله على اسماعيل بن ابي اسماعيل وهو والي الكوفة وتحتته مجمر وهو يتبخر . فقال : يا غلام هات عوداً . فمضى فجاء ببربط (يقصد العود الموسيقي) فخلج واستحيا وقال : إمض وبلك فأكسره . ثم قال لشريك : اخذنا هذا البربط البارحة من بعض الفساق في طوقتنا . »^(٣)

وقد تفاقمت هذه الظاهرة في اللغة الانكليزية بشكل يبدو أنه ساعدها على ان تكون اللغة المفضلة في المحافل الدبلوماسية . ولعلها اشد تفاقماً في الصينية ، التي تعتمد على النغمات الأربعة للفظ الواحد فتعطيه اربع معاني على الأقل . وان كانت الصينية قد استطاعت تلافي الاشتراك باللواحق التي تلحقها ببعض المفردات فتميزها ، او بالتركيب الذي يجمع بين لفظين او ثلاثة فيؤدي معنى مستقلاً عن معاني المفردات على حدة .

ويمكننا على اي حال ان نتفادى تفاقمها في العربية ، الى الحدود المعقولة . وسبيلنا الى ذلك :

(١) المزهر ب ١ / ٣٨٤ .

(٢) معجم الألقاب - تح . مصطفى جواد . ط دمشق ١٩٦٥ ، ج ٤ ق ٤ ص ٧٧٩ .

(٣) الطوفة : الحارة . يقصد الوالى انهم صادوا .

اولاً - الوقوف عند المعاني المستعملة للألفاظ وترك المعاني المهملة .
ثانياً - الاكتفاء من اللفظ المتجانس بمعناه الأصلي ، ثم المجازي
والاستفادة من المترادفات لتسمية المعاني الأخرى للفظه ، او ايجاد لفظه
جديدة اذا لم يف المترادف باحدى وسائل الاشتقاق .

ولنأخذ هذا المثال من المعجم الوسيط :

- الخلية : ١ - بيت النحل الذي تعيش فيه .
- ٢ - المرأة التي لا زوج لها ولا اولاد .
- ٣ - الابل التي خلعت للحلب .
- ٤ - الابل التي خلعت عن ولدها بذبحه أو موته فتستدر بولد غيرها ولا ترضعه .

- ٥ - المطلقة من عقال ترعى حيث شاءت .
- ٦ - السفينة التي تسير من غير ملاح .
- ٧ - السفينة العظيمة .
- ٨ - السفينة التي يتبعها زورق صغير .
- ٩ - كلمة من كنايات الطلاق . يقال للمرأة : « انت خلية » اذا نوى القائل بها الطلاق وقع .
- ١٠ - أ - الخلية الحيوانية وهي وحدة بنیان الحيوان .

ب - الخلية الدموية : المادة الحمراء في جسيمات الدم الأحمر .

ج - الخلية الجرثومية هي الخلية التي تنتج الجراثيم (الأبواغ) بعد انقسامات متتالية .

من بين هذه المعاني العشرة التي سطرها المعجم الوسيط للخلية لا يتداول الناس والكتاب غير الأول والعاشر بتفرعاته . والأول هو الأصل والعاشر هو المجاز . اما المعاني الأخرى فمهملة كلها وقد استنسختها مؤلفو المعجم الوسيط عن القاموس المحيط دون تمحيص او روية .

وما كان من المسميات التي قيدت بلفظ الخلية لا يزال ماثلاً في حياتنا الراهنة فإن له سبلاً أخرى في التسمية تغني عن هذا التخيّل . فالمرأة التي لا زوج لها ولا أولاد لا يدل عليها وصف الخلية وإنما هي الباهلة التي وردت في المعجم الوسيط نفسه . ومعناها يدل دلالة قاطعة على حالة مثل هذه المرأة واليه يشير الكميت متحدثاً عن حالة الناس تحت الأمويين :

فتلك أمور الناس اضحت كأنها
أمور مُضيع أثر النوم بُهْلُ

والمطلقة من عقل هي السائبة والسارحة فلا حاجة لوصفها بالخلية . وهي كذلك السفينة التي تسير من غير ملاح ، ويمكن تخصيص السارحة للحيوان والسائبة للسفينة . فإذا أريد بها سفن حديثة يمكن أن تسير إلى مقصدها بدون ملاح فهي الذاتية السير أو المسيرة . والسفينة العظيمة هي الماخرة والبارجة . وربما وجد للسفينة التي يتبعها زورق صغير اسم لم يصل إليه علمي ، والبحث عن أمور كهذه سيتم خلال العمل المعجمي الذي نطمح إلى خوض عبابه . أما كناية الطلاق فهي غير معروفة في قاموس العلاقات الزوجية المعاصرة والشائع هو : انت طالق . وستكون القواميس الحديثة على أي حال في غنى عن هذه المصطلحات بعد أن تبوأَت المرأة مرقعاً آخر في المجتمع . . .

وهكذا لا يتعدى لفظ الخلية الوضع التالي في معجم مضبوط :

خلية : بيت النحل الذي تعسل فيه .

- وحدة بنيان الكائن الحي .

ويضاف إلى الثاني تفرعاته في العلوم المختلفة .

وقد يدخل اللفظ في مجازات أخرى تنتشر فتوجب إثباتها في القاموس . وقد دخل لفظ الخلية في تنظيمات الأحزاب الشيوعية ، ومع استقراره في الاستعمال لا بد من إدراجه في المعجم . على أننا نتوق إلى أن تلتزم أجيالنا الجديدة في إيجادها للمصطلحات مبدأ تجنب المتجانسات منعاً لتفاقمها في القاموس . وهو أمر ميسور في عصر تخضع فيه اللغة للوعي وليس الوعي للغة .

مثال آخر على المتجانس وعلاجه :

مادة درس : ترد في معنيين متداولين اولهما يفيد التعلم والثاني دياسة الحبوب لفصلها عن قشورها والجذر مشترك مع دلالة ثالثة تفيد الأندثار والانقراض . وهكذا يقال : درست العلم ودرست القمح ودرس الأثر . ولدينا من المرادفات واحوال الاشتقاق المتنوعة ما يكفي لازالة هذا الالتباس فنقول :

- . الدرس والدراسة : تحصيل المعرفة .
- . درس يدرس : قام بتحصيل المعرفة .
- . الدارس : الباحث وطالب العلم .
- . المدرسة : محل الدراسة .
- . الدريس : الحبوب بعد دياستها .
- . المدراسة : آلة الدياسة .
- . الدياسة : فصل الحبوب عن قشورها .
- . اندرس الشيء : اندثر وانمحى اثره .
- . المندرس : المندثر .

الفقر في لغة الكتابة الحديثة

ان حالة الانقراض اللغوي التي مر بها العرب في حقبة الانحطاط قد هبطت بالمفردات الى حد الكفاف المساوق لحاجات مجتمع - أو معشر - صغير متخلف . وقد أخذت العاميات من قاموس الفصح نسبة قليلة املتتها ضرورات الحياة المحدودة في مثل تلك الظروف ، وازافت اليها نسبة قليلة اخرى من المفردات المخترعة أو الدخيلة . أما لغة الكتابة فقد تدنت الى مفردات طقوسية تؤدي بها العبادات أو يكتب بها الشعر . وحين نهضت مصر بالكتابة العربية بعد ثورة محمد علي بدأ القاموس العربي يسترجع عافيته واغتنت الكتابة بمواد مستعادة أو مولدة أو معربة جاءت مع السيل العرم من كتابات طه حسين وجيله ومن الصحافة اليومية المتطورة والمجلات الاسبوعية والشهرية التي اكتظت بها مصر .

لكن لغة الكتابة لم تسترجع كامل زخمها السابق ، ناهيك عن المنشود . ويمكن القول انها تدنت بعد جيل طه حسين ؛ حيث انتهى سقوط البرجوازية المصرية الناشئة تحت وطأة الحكم الانكليزي الى تحجيم النهضة المصرية وايقافها عن حد الاسراف ، من دون ان يعوض عن ذلك نهوض مقابل في بلد عربي آخر تقوده طبقة اجتماعية ناهضة .

ان لغة الكتابة المعاصرة تعاني اليوم فقراً في المفردات يعكس المستوى المحدود لمعظم الكتاب العرب . ومن المعروف ان الكاتب العربي المعاصر قليل القراءة اذا قيس بجيل طه حسين ، الذي كان يسمى جيلنا الحالي جيل القراء الخطافين ، اي الذين يطالعون الكتاب تصفحاً لا قراءة . ومازلنا أبعد ما نكون عن اعتناق الرهبة العلمية التي دعا اليها كاتب سوري جدير بالاحترام . ومن يطلع على اسلوب معيشة الكتاب يعجب متى وكيف يقرأون ؟

ان فقر لغة الكتابة واضح بالقياس الى محتوى القاموس العربي من جهة ، ولغة الكتابة في لغة حديثة ، كالانكليزية ، في جهة اخرى . وهي كما قلنا حالة مشتركة مع العاميات . ولنتنظر في بعض المقارنات :

الكلمة الدالة على العاقل :

يعبر عنها في لغتي الكتابة والكلام بلفظ واحد هو عاقل . ولا يكتب الكتاب ، ومنهم المترجمون ، غير هذه المفردة في مقابل المفردات الانكليزية التالية WISE, WIT, SANE, INTELLIGENT وفي القاموس العربي :

عاقل ، فطين ، فطِن ، كديس ، اريب ، لبيب ، مدرك
فهم ، فاهم ، نبه ، زكن

الكلمة الدالة على المرض :

في معظم العاميات : مرض فقط . في العراق والخليج : وجع .
في لغة الكتابة والاصطلاح : مرض فقط
للمصفة : مريض في الكتابة والاصطلاح . عيان في مصر
والغرب . مريض ومرضان في سوريا . وجعان وعليل في العراق .
وجعان في الخليج ...
يرد ذلك مقابل المفردات التالية للمرض في الانكليزية :

: DISEASE, SICKNESS, ILLNESS, MALADY, AILMENT

وللمصفة :

ILL, SILK, PATIENT,

وفي القاموس العربي
للمرض : مرض ، سقيم ، وجع ، دائر ، علة ، اعتلال ،
ضنى دنف ، وصب ...
وللمصفة : مريض ، سقيم ، عليل ، مُؤَنَف ، وقيد ..

الكلمات الدالة على الارض :

في معظم العاميات : ارض . في العراق : قاع (قاف حمير) .
في لغة الكتابة : ارض
في الانكليزية : EARTH, LAND, GROUND, FLOOR .
في القاموس العربي :
ارض ، قاع ، صعيد ، ثرى ، جَدَد ، غبراء ...

ولكل من هذه المفردات معنى محدد . فالارض EARTH دالة على الكوكب . والقاع هي الوجه الصلب للارض وتستعمل في العراق في المعنى الذي تعطيه كلمة LAND لكنهم يخلطونها بمفهوم الارض . والصعيد هي المقابل الدقيق لكلمة GROUND لكن الكتاب يستعملونها في المجاز فيقولون على الصعيد الفلاني اي على الوجه أو المستوى الفلاني ، ويرجعون الكلمة الانكليزية خطأ الى ارض . والثرى هو الصعيد كذلك ويقال : « اين الثرى من الثريا » للمفاضلة بين الاعلى والادنى . والجدد والغبراء هما وجه الارض . أما FLOOR فيقابلها لفظ مستحدث هو : الارضية .

الكلمات الدالة على «منطقة» :

في العاميات لا يوجد
في لغة الكتابة : منطقة ، إقليم
TERRITORY, REGION, AREA, ZONE. : في الانكليزية
... DISTRICT.

في القاموس : منطقة (محدثة) ، إقليم ناحية ، بقعة (بقاع) ،
رحبة ، عرصة ، جيز وجيزة (ومنها جيزة مصر) ، وقد وردت في الشعر
قديمًا بمعنى المنطقة والناحية :

* اذا مروا بجيزك لم يعوجوا *

علاوة على قلة الثروة اللغوية لدى الكتاب ، ضيقوا على أنفسهم
تحت تأثير وهمين ؛ وهم التنجس من العامي والمبتذل ، وهم «الغريب»
في اللغة .

الوهم الاول جعلهم يهجرون الكثير من الالفاظ الفصيحة لانها
متداولة على السنة العوام فاضافوا فقرا الى فقرهم تحت ذريعة التفاضح
والنفور من الحوشى والمبتذل الذي تلقوه من مدرسي البلاغة . وقد تضخم
هذا الهاجس لدى الكتاب حتى دفعهم عن الفصح والمعقول من خلال
بحثهم الحثيث عنه . فالكتاب مثلاً يتحاشون كلمة طير الى طائر لان
الاول شائع في العامية رغم انه افصح من طائر وادق في الدلالة لان طائر
مشتق وطير اصيل . وفي كتيب للصبيان حول موسيقار شحاذ خاف

الكاتب من شحاذ لانها معروفة عند العوام فراح يكتب «الموسيقى السائل» ويضع شحاذ بين قوسين لايضاح معناها لثلا يتهمه اللغويين بمخالفة أصولهم . والسائل لا تدل حصراً على الشحاذ لانها تحتلط بمعنى السؤال العادي ، ومعنى اصطلاحى محدث يرادف المائع ، (سائل وسوائل) والشحاذ هنا افصح لكن كتب البلاغة تفضل «السائل» لانه غير معروف لدى العوام . ويمتد التنجس من العامي الى المعرب والدخيل ، فالعامية كلهم يقولون بيانو للآلة الموسيقية المعروفة ، لكن الكتاب يجعلونها بيان لاشباع نزعتهم في التفاصيل دون ان يلتفتوا الى ان الكلمة بهذه الصيغة تحتلط بمعنى البلاغ والبيان . ويكلف الكتاب أنفسهم تمطيط العبارات واطالتها حتى يتجنبوا لغة العوام في أمور تكون اقرب الى الفصح والمعقول . فالكاتب لا يقول : فلان يتعشى أو يتغذى كما يقول الناس تبعاً لاساليب البلاغة الحقة التي تتوخى الايجاز ، وانما يقول : يتناول غذاءه أو يتناول عشاءه ولا يقول : أكملت المؤسسة الفلانية المشروع الفلاني» بل يقول : «قامت المؤسسة الفلانية باكمال المشروع الفلاني» . فالفعل الكتابي يتحقق غالباً في مفردتين ، خلاف الفعل العامي الذي يستغني عن الركائز.لانه مستند الى عفوية اللغة القبلية المتوارثة .

ويهمز الكتاب كل ما هو وزن فعاليل لان العامة لا تهمزه ، فيقولون مصائب بدل مصايب ومكائد بل مكاييد ، وفضائل بدل فضائل - والعامية أفصح لان حكم هذه الجموع هو عدم الهمز مالم تكن مأخوذة من مفرد مهموز مثل سائل اذا جمع بالتكسير يكون سوائيل . وحتى هذه الصيغة أبدلت الى الياء في كتابات المتأخرين حيث نجد في المخطوطات : فوايد ومسائيل وزوايد . وحكمها في الاصل هو الهمز .

وتحت وهم الخوف من الغريب «وهو أيضاً من اوهام البلاغيين ، وسع الكتاب دائرة المحرمات حتى استغرقت نسبة عالية من القاموس . والغريب في اللغة مسألة نسبية ، وغالباً ما يتعلق اعتباره بحدود معرفة اللغوي ؛ فقد جعل ابو عبيدة كلمة . توأ من الغريب وهي الآن لفظة شائعة في لغة الكتابة ومشهورة في عامية العراق مضافة الى ضمير متصل ، ومنفردة بالمغرب . وجعل من النادر كلمة شواية للشيء القليل من الكثير

وهي اليوم في معظم العاميات . ووجود مثل هذه المفردات في التداول يعني كما بينا من قبل انها كانت متداولة في لغة الكلام واستمرت بالتوارث . واللغويون، على خلاف بشأن معيار الغريب وقدرده اكثرهم^(١) . وهم على حق . فليس هناك غريب على اطلاقه ؛ فقد تبدأ المفردة غريبة ثم تتكرر في الاستعمال ، كتابة أو كلاماً ، حتى تصبح مألوفاً . وهذا هو شأن جميع المصطلحات والاسماء الحديثة التي بدأت مجهولة المعنى ثم استؤنست وشاعت . ان كلمات مثل : باخرة ، سيارة ، طيارة ، هاتف ، برقية ، راديو ، لاسلكي ، إذاعة ، كانت كلها غريبة على السمع والبصر ثم صارت جزءاً من المنظوق والمكتوب على السواء . وقد يبقى بعض المفردات محصور التداول بحكم خصوصيته فيعرفه المختصون ويجهله عامة الناس ، من مثقفين أو أميين ، لكن ذلك لا يسلكه في عداد الغريب . ويصدق هذا الحال على المصطلحات وهي مفردات خاصة يتداولها المعنيون بفرع علمي أو تقنوي معين وقد لا يعرفها غيرهم ومثل هذه المفردات لا يصح اهمالها لان الادباء أو قراءهم قد لا يعرفونها ، اذ يكفي ان يعرفها اهلها ويستخدموها للتعبير عن اغراضهم .

ينبغي اذن التحلل من وهمي العامي والغريب لان كل ما في المعجم ، وكل ما دار على السنة الناس حقيق بالاستعمال اذا استدعته . ضرورات الحياة وأدى المعنى المطلوب وفق المعايير اللغوية السليمة . وقد قال الشاعر نزار قباني ان كل ما في اللغة صالح للشعر ، وهذا من آرائه القليلة الصائبة وقد حاول اتباعه في شعره ونثره على السواء .

وللكاتب والمفكر اتقان التعبير عن الموضوع واستيفائه بما يناسبه ويقتضيه من المفردات ، مع افتراض قدرة القارئ على استيعاب المفردة الجديدة من خلال السياق ، أو الاستعانة بالقاموس اذا تطلب الامر . ان الكاتب الانكليزي مثلاً يرجع الى قواميس المعاني اذا اراد كتابة بحث أو مقال لانتقاء مفرداته منها . وهذا النمط من المعاجم كثير الانتشار في المكتبة

الانكليزية . ولا يجد القارئ الانكليزي ، من جانبه ، حرجاً في الرجوع الى القاموس لمعرفة ما يشق عليه من المفردات .

وقد تحدثت في هذه الشئون مع قطاعات عديدة من الناس من مختلف المستويات ووضحت لهم التجربة الانكليزية فجوبت باعتراض مشروع هو انعدام القواميس العربية الصالحة للاستعمال . ويغوي لي ان هذه هي العقبة الوحيدة أمام الكتاب والمفكرين لاغناء لغتهم ، وامام القراء لاستيعاب ما يكتب لهم . وقد مر الحديث عن هذه الكلمة عند نقد المعاجم الحديثة .

تحریمات و تیسیرات

مشاكل التأنيث

التأنيث في اللغة مبدأ ضروري يفرضه واقع انقسام الكائن الحي - نباتاً أم حيواناً أم انساناً - الى جنسين . ويحتاج المتكلم أو الكاتب الى تعيين جنس الموضوع تبعاً لمقتضيات هذا الواقع . وقد تفاوتت اللغات في مستوى التمييز بين الجنسين فتوسع بعضها فيه كالعربية والاسبانية وضاق مداه في البعض الآخر كالانكليزية والصينية . ويعوض عنه الصينيون في الكتابة باضافة الرمز الدال على الانثى الى بعض المفردات فيعرفه القارئ دون السامع . أما في الانكليزية فيلجأون الى إضافة WOMAN أو GIRL أو FEMAL الى الاسم لتعيين الجنس ، كأن يقولوا GIRL STUDENT للطالبة ، أو WOMAN WRITER للكاتبة . ويدل لجوؤهم الى هذه التراكيب على الحاجة الماسة للتأنيث في اللغة .

فضلاً عن هذا ، تواجه اللغات مهمة التعبير عن واقع حضور المرأة في مناحي الحياة المختلفة في العصر الحديث ، مع الكفاح في نفس الوقت ضد الجنسوية . ولعلها ليست بالمهمة اليسيرة لان اللغات الحديثة نشأت في مجتمعات ابوية فكانت الجنسوية مقوماً اساسياً فيها . واذا اخذنا الانكليزية مثلاً وجدنا المرأة دائماً في مقام التابع للرجل ؛ فاللفظة الدالة على الانسان في الانكليزية MAN مشتركة بين الرجل والانسان . أما المرأة فتستمد اسمها من الرجل فهي WOMAN واصلها في الانكليزية القديمة WIFMAN اي : زوجة الرجل . ونجد الجنسوية في الخط الصيني حيث تكتب المرأة هكذا 女 تعبيراً عن القيود التي تخضع لها والرجل هكذا 男 رمزاً لتفوقه وقدرته على تحمل الاعباء . وفي العربية نجد الجنسوية في لفظ المرأة الذي هو تأنيث مرء لكن هذا الاثر يتلاشى في حالة الجمع : نساء لانه مستقل تماماً عن لفظ الرجال . كما يزول التمايز في لفظ الانسان

وهو مستقل الدلالة على الكائن البشري بجنسيه ولذلك لا يجوز التأنيث فيه
لانه مشترك فيقال الرجل انسان ، والمرأة انسان ولا يقال : انسانية الا في
بعض الضرورات الشعرية .

يضاف الى هذا ان التذكير والتأنيث يتقاسمان المفردات العربية
بمستوى يمنع من ظهور الجنسية في اللغة . وبالطبع فان هذا التعادل
لا يرجع الى وعي ديمقراطي لدى واضعي اللغة العربية وانما هو نشوء
تاريخي يعكس نوع البنيات التي تكونت فيها هذه اللغة ، وهي بنيات
واسعة جغرافياً ، متفاوتة اجتماعياً تداخلت فيها مواقع الحضارة - المجتمع
الابوي - مع مواقع البداوة الصرفة - بقايا المجتمع الامومي - فترك كل منها
تأثيره على اللغة . ومن هنا نجد اكبر جرم سماوي - الشمس - يحمل اسماً
مؤنثاً ، والاصغر منه وهو القمر مذكراً . كما تؤنث الارض والسماء
وتؤنث جموع التكسير مهما كان جنس مفرداها واليه يشير قول مشهور
لنحوي يستخف به من جماعة هددوه :

لا ابالي بجمعكم كل جمع مؤنث

والنحاة كما نعلم نشأوا في مجتمع ابوي خالص .

ونجد في مقابلها : تذكير البحر والنجم والفضاء والهواء والماء ،
وغيرها من المقومات الاساسية الكبرى في الوجود . وهكذا نشأ عن هذا
التوازن البيئي الذي تحكم في تصير العربية حالة من التوزيع الدقيق
المتوازن للمذكر والمؤنث تعكس الوضع الطبيعي للكائن الحي وتمسح آثار
الجنسوية من قاموس اللغة .

وقد زعم مؤلفو PEOPLE'S ALMANAC الامريكان أن التفريق
الحاد بين المؤنث والمذكر في اللغة العربية مرده الى الوظيفة المتمايزة لكل من
الرجل والمرأة في المجتمع العربي^(١) . وهو من الشوائب العلمية التي اعتادها
الكتاب الغربيون في معالجتهم لقضايا الشرق . ويفترض لصدق هذا
التخريج ان تكون اللغة قد نشأت في العصر العثماني ! وبالطبع فان قراء

(١) انظر ، THE PEOPLE'S ALMANAC BY DAVID WALLEC HINSKY, AND

IRVING WALLACE. NEWYORK 1975 P. 748

«المنأخة الشعبية» هذه لا يصعب عليهم قبول مثل هذا الافتراض . أما واقع الحال فهو أن هذا التفريق الحاد بين المؤنث والمذكر هو انعكاس واقعي لوضع طبيعي حدث في اللغة العربية بحكم ظروف النشأة التي تسبق بداية العصر العثماني بأكثر من أربعة عشر قرناً ، وبداية العصور الإسلامية - عصور المجتمع الأبوي - بأكثر من أربعة قرون !

وبقدر ما يمس التعبير اللغوي ، توفر هذه الظاهرة ميزتين ، أحدهما الوضوح والتمييز في مقاصد المتكلم أو الكاتب . وثانيتهما الاقتصاد في الكلام ، فالعربي لا يحتاج الى عبارة مطولة حتى يبين للمتلقي عنه انه يتكلم عن انثى وانما يكفيه ذكر الاسم المؤنث أو ما يتعلق به من فعل أو صفة أو ضمير للوفاء بهذا الغرض . ولا هو يواجه اي اشكال ناجم عن اختلاط الضمائر أو الاسماء أو حين . . يخوض في مسألة تخص احد جنسي الانسان . والمتلقي في العربية لا يصعب عليه البت ان كانت العبارة تتكلم عن انسان أم رجل ولا يضطر الى الانتظار وقتاً طويلاً قبل ان يتبين ان كان موضوع الكلام رجلاً أم امرأة .

على ان للتأنيث في العربية عيوباً تتعلق ، رئيسياً ، بمسألة النطق - لغة الكلام والتلاوة . وتنط هنا صعوبتان ؛ الاولى في نون النسوة وهي ضربان خفيفة وثقيلة ، الخفيفة هي نون الفاعل والثقيلة نون المفعول به والمضاف اليه . ومثالها :

الخفيفة : النساء يشتغلن مثل الرجال
الثقيلة : تحصل النساء على حقوقهن بنضالهن ضد الذين يظلمونهن .

وهناك نون ثقيلة في ضمير المخاطبات : انتن ، والغائبات : هن . ان النون الخفيفة ليس فيها أشكال في التلفظ لكن الاشكال في الثقيلة لاسيما اذا اقتضى التعبير عن فكرة معينة تكرار الضمير . وهي تبقى على وضع واحد من الاستقلال حتى في كتب البلاغة العالية . ولنقرأ هذه الآية :

«قل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين

زيتتهن الا لبعولهن أو آبائهن أو أبناء بعولتهن أو ابنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخواتهن أو بني اخوانهن أو نساتهن أو ما ملكت ايمانهن» . وفي كتاب كالقرآن ما كان مقبولاً مثل هذا التابع الثقيل المتعارض مع اسلوبه الغني الرفيع لولا قيود اللغة .

لم نجد فيما بين ايدينا من المصادر ما يُشعر بالاتجاه الى حل هذا الاشكال في لغة الكتابة . لكن هذا ما تحقق في العامية التي الغت النون الثقيلة والحقتها بالخفيفة ، وسهلت بذلك سبيل الكلام من غير أن تضحي بالمبدأ الجوهرى الذي هو تعيين الجنس المقصود بالكلام . وعلى هذا الغرار يمكن أن نكتب عبارة مفصحة تؤدي الغرض من التأنيث :

تناضل النساء من أجل حريتهن وحقوقهن المشروعة ويجب على الرجال ان يساعدوهن لاداء ما عليهن من مهام النضال .

ففي هذه الحالة تأخذ نون النسوة نفس وضع ميم الجمع وتصبح ميسورة النطق : عليهم وعليهن ، حريتهم وحريتهن . .

ويختص هذا التيسير بلغة الكتابة العادية . لكن النون الثقيلة يمكن ان تؤدي في الشعر وظيفة موسيقية خاصة . ولنقرأ الأبيات لابن قيس الرُّقَيَّات :

بكر العواذل في الصباح يلمني والومهن
ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت انه
لا بد من شيب فدعن ولا تطلن ملامكن
فلتركها للشعراء .

الثانية هي صعوبة معرفة المؤنث غير اللفظي . وتثقل بوجه خاص على الاجانب الذين يتعلمون العربية حين يريدون ملاءمة الفعل أو الضمير أو الصفة مع الاسم المؤنث . وقد عقد اللغويون هذه المشكلة بإصرارهم على اشكال التأنيث الموروثة ، ليس انتصاراً للأنثى ، فهم في الغالب جنسيون ، بل بسبب جهودهم العقلي . ان التأنيث في الاسماء المؤنثة غير المشتهرة بالتأنيث هو مسألة جوازية مالم يكن تأنيثاً حقيقياً والشهرة هنا قاعدة فالكاتب أو المتكلم يمكن ان يحاسبها على الالتزام بتأنيث الشمس والسماء والارض لانها مؤنثات مشهورة لا يخطئ فيها احد ، لكن

الحساب يجب ان لا يطال كلمات مثل : سوق ، رأس ، وبئر . ويجب ربط الشهرة بمألوف لغة الكلام حيث حدثت تغيرات في تأنيث وتذكير بعض المفردات . ولا يصح إشغال الطلاب بتمييز المذكر والمؤنث فيما يتعارض مع مألوف كلامهم . ان الناس يقولون مثلاً :
راسي دايع ، والشمس طالعة والسوق مزدحم والارض واسعة ويجب ان لا نتجاوز هذه التحديدات في لغة الكتابة والتعليم .

الاعداد

العدد المركب

يشترط النحاة بناء العدد المركب على الفتح في جزئيه :
أَحَدَ عَشَرَ ، ثَلَاثَةَ عَشَرَ ، أَرْبَعَةَ عَشَرَ
والحادِي عَشَرَ ، والثَالِثَ عَشَرَ ، والرَّابِعَ عَشَرَ

وفيه تطويل ينافي الذوق العربي . وقد ذكر المعري في «الصاهل والشاحج» ان اعدل الكلام عندهم متحركان بعدهما ساكن أو ساكن بين متحركين . . ويبدو انهم التزموه في لغة الكلام . ويقول الزنجشيري في الفصل فيما يختص بالاعداد ان بعض العرب يسكنون العين من عشر فيقولون أَحَدَ عَشَرَ احتراساً من توالي الحركات . وعلى هذا الغرار جرى تلفظ العامة لهذه الاعداد بالتخلص من توالي الحركات سواء بتسكين بعض الحركات أو بادغامها في كلمة واحدة . ولعل قربها اليوم الى الفصيح هو اللفظ المصري الذي يسكن فيه العين على النحو الذي ذكره الزنجشيري أَحَدَ عَشَرَ ، ثَلَاثَ عَشَرَ ، أَرْبَعَةَ عَشَرَ . . .

وارى ان يصار اليه في لغة القراءة بمصر وان يلفظ في غيرها بتسكين جزئه الاول خلاصاً من التعثر الذي يلقيه المذيعون والخطباء عند تلفظ هذه الاعداد حسب الشروط النحوية الباهظة ، وانسجاماً مع الذوق العربي .

تأنيث وتذكير العدد

يصر النحاة على المخالفة بين العدد ومعدوده في التذكير والتأنيث فيزيدون من تعثر المتكلمين من مذيعين أو خطباء وما أشبه . ويتعقد الحال أكثر في الاعداد المركبة حيث يشترط ان يكون الجزء الاول مخالفاً للمعدود في التذكير والتأنيث والثاني موافقاً . وقد تجاوز الشافعي هذا القيد فقال في «الرسالة»

«ان صوم الثلاثة في الحج والسبع في المرجع عشرة ايام كاملة . . .» فذكر السبع وحققا التأنيث لأن اليوم مذكر . وقال محقق الرسالة احمد محمد شاكرا ان له وجهاً في العربية . وما يتساهل فيه الشافعي فأولى بالمعاصرين ان لا يتقيدوا به . وليس هناك في الحقيقة اي خوف من الالتباس في قولك :

خمس كتب او خمسة كتب وخمسة عشر كتاب او خمس عشرة كتاب . . . فقلها كما يقتضيها سياق الكلام وما يقتضيها ذوقك واثمها على الشافعي . .

مضاعفات المئة :

يمتد التعقيد اللفظي الى مضاعفات المئة من ثلاثمئة الى تسعمئة اذ يشترط النحاة معاملتها مضافاً ومضافاً اليه فيقال : ثلاث مئة واربع مئة وخمس مئة . . وتلفظها العامة كلمة واحدة : ثلاثمئة واربعمئة وخمسمئة ، ويحرك المصريون آخر الجزء الاول فيقولون : ثلث مئة ورُبعمئة وخمسمئة . . . وافضل الصيغ للغة الكتابة واللقاء هي : ثلاثمئة او ثلاثمئة ، اربعمئة او اربعمية ، خمسمئة او خمسمية . . وابدال الهزمة ياء مشددة قديم ، ومن شواهد هذا البيت الذي رواه ياقوت^(١) :

فقلت والمرء قد تحطيه مُنيته
~ ادنى عطيته اياي مَيَات

(١) معجم الادباء ٦ / ٨١

العدد والمعدود في حالة التعريف

قال اللغويون ان ال التعريف تدخل على الارقام من احد عشر الى تسعة وتسعين فيقال : الاحد عشر عام والتسعة والتسعين عام . وفي عداها اضافوا العدد الى المعدود فقالوا : مئة الدرهم والالف الدرهم . وفي الاحاد : ثلاث الاثاني واربعة القوائم وخمسة الكتب . وهذه التعبيرات ملتبسة وقد اصلحها المحدثون فقالوا : المئة درهم والالف درهم والمليون ليرة والثلاث اثاني والاربع قوائم والخمس كتب .

اشكالات المثني

التفريق بين المثني والجمع يرجع الى اختلاف طبيعتهما ، فالمثنوية ازدواج والازدواج علاقة مختلفة عن علاقة الجمع . ويشتمل الوجود على مزدوجات اساسية تفرض هذا التفريق في العلاقة . فهناك الانثى والذكر ، السالب والموجب ، الجسد والنفس ، الاصل والفرع ، والعقل والجهل ، وغيرها من المتضادات او المتقابلات التي يتألف منها ديكالكتيك الكينونة وديكالكتيك المجتمع . وللمثنوية في العربية نظام مكتمل تميز بشكل يسنجيب لهذه العلاقات . وتوجد في اللغات الاخرى حالات تعويضية حملت عليها ضرورة المثنوية ففي بعض اللغات الاوربية بادئة BI التي تفيد المثنوية ، واشتقت الانكليزية Couple للدلالة على الزوجين وDouble للدلالة على المزدوج وPARENTS للدلالة على الوالدين . واشتملت الصينية على مفردتين للرقم ٢ هما إر وليانغ واستحدثت بادئة تفيد الازدواج هي تشوانغ .

وهكذا فالمثنوية امر منطقي وليست ترفاً لغوياً . وهي بلاشك من مزايا العربية . لكن تطبيق هذه القاعدة في لغتي الكتابة والكلام اقترن بشيء من التعقيد ناشىء من اشتراط مثنوية اللوحات تبعاً للاسم . وهذا الشرط ليس اساسياً مادام مفهوم المثنوية متضمناً في الاسم والاصرار عليه يضيف عشرات الى لغة الكلام واللقاء ، كأن يقال : الطرفان وقعا المعاهدة ، الوالدان رعا الاولاد ، الزوجان هيا الاناث الخ .

وقد شعر القدماء بهذه العثرات فسعوا الى تجاوزها ، كما شعرت العامة بها فتخلصت منها . ولنقرأ هذا النص للفيلسوف الرازي^(١) . . .
» . . . ومن مجيء المطر في غير ابلانه ومجيء البرد والحر في غير اوقاتها حتى يفسدان الشجر وسائر النبات» .

والشاهد مخالفته للاعراب في يفسدان لان حكمها حذف النون على النصب بحتى . وقد حمله على هذا استثقال «يفسد الشجر» فابقي النون لتستقر العبارة وتحذف على اللسان .

وعالجها القرآن باللجوء الى صيغة الجمع في الاسم والفعل المتعلقين بالمشئى . ومن شواهد هذه الآية من سورة الحج .
هذان خصمان اختصموا في ربهم

وهذه الآية من سورة الحجرات :

وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا

والاصل ان يقول خصمان اختصما ، طائفتان اقتتلتا ويحمل اللغويون هذه المخالفة على مراد الجمع في خصمان وطائفتان لانها مما ثني لفظاً ومراده الجمع . واللغويون يفرضون احكامهم على القرآن الذي هو من مصادر اللغة اي انه حكم لا محكوم عليه وقد فاتهم الضرورة النطقية في هذه المخالفة لان اقتتلتا مستثقل ومتعارض مع الذوق العربي ، الذي لا يستسيغ تتابع أربع حركات دون سكون يعترضها . ثم ان تأويلهم هذا لا يستقيم مع نصوص اخرى وقعت فيها نفس المخالفة ومنها قوله .
. . . وداود وسليمان اذ يحكما في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم القوم وكنا لحكمهم شاهدين .

وداود وسليمان من المشئى اللفظي والمعنوي وليس فيها اي دلالة على الجمع ! ولتأمل بهذه المناسبة مدى حرية التعبير في القرآن ، فقد استعمل

(١) رسائل الرازي الفلسفية - مقالة في بعد الطبيعة . تح بول كراوس ، القاهرة

الفعل يحكمان في صيغة المثني لانه سلس ومتناغم مع نسق العبارة ، فلما جاء الى ختام الآية جمع ولم يثن فقال لحكمهم توخياً لنفس الفرض الذي من اجله ثنى يحكمان ؛ لانه لو قال لحكمهما لفقدت الآية طعمها البلاغي . ومن الشواهد المماثلة في القرآن ايضاً :

«ان تتوبا الى الله فقد صفت قلوبكما»

جمع قلوب وهما قلبان ، «المخاطب اثنتان من زوجات النبي» والباعث على هذه «المخالفة» غرض بلاغي بحث لالعلاقة له بالمعنى ، فالمعنى لا يتغير مع التثنية ، ولا باللفظ لان لفظ التثنية في هذا السياق خفيف على اللسان . فلو أنه قال :

«ان تتوبا الى الله فقد صفا قلوبكما»

لادى نفس المعنى ولما كانت هناك صعوبة في نطق الآية ، لكنها عندئذ ستكون ركيكة ، فتخطاها الى الجمع .

وقد مشت لغة الكلام على هذا الاعتبار فابقت المثني لأنه اصل جوهرى في العربية ، وتجاوزت التثنية في متعلقاته الى الجمع . وهكذا يقال في العامة :

الطرفين وقعوا المعاهدة ، الوالدين رعوا الاولاد ، الزوجين هياؤا
الاثاث ... الخ

وينبغي للغة الكتابة ، اولغة الالقاء على الاقل ، ان تأخذ بهذه الطريقة استناداً الى القرآن واستجابة للضرورات .

تلفظ الفعل المضارع

ثمة قاعدتان مطردتان في مضارع الماضي المكسور العين والماضي المضمومها . فكل ماضي مكسور مضارعه مفتوح مثل : قَبِلَ يَقْبَلُ ، تَعِبَ يَتَعَبُ لعب يلعب . . وهذه القاعدة منضبطة في لغتي الكتابة والكلام قلما يخطيء فيها الناس . اما الماضي المضموم العين فان مضارعه يكون مضموماً كذلك . ومثاله : عَظُمَ يَعْظُمُ ، كَرُمَ يَكْرُمُ ، ضَعُفَ يَضْعُفُ . وهي نادرة في لغة الكلام وغير منضبطة في لغة الكتابة . لكن الاستغناء عنها غير

ميسور لان دقة المعنى في هذه الافعال مرهونة بلفظها الصحيح ، نظراً الى انها تفيد التحول الذاتي الى الشيء المتضمن في الفعل ، فقولنا : عظم معناه صار عظيماً ، ضعف ، صار ضعيفاً ، كرم صار كريماً . وتنطوي هذه الافعال على عنصر اقتصادي لاسيما عند الترجمة من الانكليزية حيث يتم بها اختصار عبارة مؤلفة من كلمتين Becomeweak الى كلمة واحدة : ضعف . وينبغي على الكتاب اتقان هذه القاعدة لانها تتعدى محض الحذقة الصرفية الى المعنى الجوهرى المتضمن فيها ، مع الحاجة الى الاختصار في لغة العصر الحاضر . واتقانها ليس عسيراً

الاشكال في الفعل المضارع هو فيما كان ماضيه مفتوحاً ، مما اعتاد اللغويون على تقسيمه الى باب ضرب ونصر . الاول مضارعه مكسور والثاني مضموم . والتفريق بين البابين لا يستند الى اساس ملموس وانما هو في حكم السماعي . وقد سعى الاستاذ حسن فهمي صاحب «المرجع في تعريب المصطلحات» الى وضع قاعدة لحركة هذه الافعال تقوم على علاقة الكسر والضم بطبيعة المعنى الذي يؤديه الفعل . لكن هذه القاعدة مفيدة في الكشف عن العمق الفلسفي للغة فهي تهتم المعنيين بفقه اللغة العربية وعلومها ولا تساعد على حل اشكالات التلغظ لانها تتطلب تفكيراً مسبقاً من القارئ قبل ان يؤدي اللفظ الصحيح .

وللمشكلة حل قديم يرجع الى ابو زيد البلخي احد اعلام الفكر في العصور الاسلامية وقد اوجزها بقوله : «اذا جاوزت المشاهير من الافعال التي يأتي ماضيها على فعل فانت في المضارع بالخيار ان شئت قلت يفعل بضم العين وان شئت قلت يفعل بكسرها»^(١) . وقد تابعه عليها الفيروز آبادي ، بينما اهملها اللغويون المعاصرون ، ربما لانها تقطع عليهم احدي سبل المباراة في البراعة . وقاعدة البلخي واضحة وتتضمن حلاً نهائياً لاشكالات هذه الافعال ، فالمشاهير التي ذكرها معروفة ومحدودة حتى الآن في لغتي الكتابة والكلام ، فالمثقفون والعامة قلما يخطئون في ضم . ينصر

ويعبر ويكفر ويغمر ويخرج ويقتل ويركض ويرقد الخ أو في كسر يعرف ويضرب ويجلد ويحمل ويقلب الخ والمشاهر في باب ضرب أقل منها في باب نصر . وما يتبقى مما يشكل تحديده يترك للقراء ان يكسروه او يضموه عملاً بقاعدة البلخي ووفقاً لما اعتادوا عليه في لهجتهم أو ما تقتضيه اذواقهم .

وهناك باب آخر من الماضي المفتوح يكون مضارعه مفتوحاً ويسميه اللغويون باب قطع . وهذا الباب شائع في لغة الكلام والكتابة وقلما يقع فيه خطأ . ومن امثله : سبج يسبج ، قرأ يقرأ ، بحث يبحث ، طلع يطلع ، فتح يفتح ، سأل يسأل ، طرح يطرح ، مسح يمسح ، مزح يمزح ، نفع ينفع الخ .

يبقى الفعل المضعف ، فر ، مر ، شد وقد ميز النحاة فيه بين اللازم والمتعدي فكسروا مضارع الاول وضموا مضارع الثاني . وهذه قاعدة مفيدة وسهلة الى حد ما ولا ارى صعوبة في التمسك بها مالم تعارض مع عادات نطق متأصلة فيترك للقاريء مجازاة العادة فيها ، مثلاً : يفر كثير من الناس يلفظونه مضموماً فلا داعي لارغامهم على كسره ! والعادات النطقية اذا لم تسبب التباساً يجب ان تكون لها قوة القاعدة

اشكالات النسبة

كثرت الحاجة الى النسبة في الوقت الحاضر مع تشعب العلاقات وتعقدها ومع كثرة المذاهب والمدارس السياسية والفكرية ، ومع التوسع - تبعاً لهذا - في استخدامات المصدر الصناعي . وقد تكونت في غرضونها ادوات تعالج تعدد الدلالات للاسم المنسوب او المصدر الصناعي قامت مقام الكواسع مثل (واو النسبة وان المبالغة) . ويضع اللغويون هنا ايضاً ماعندهم من عوثير ، فيشترطون اقتصار النسبة على المفرد دون الجمع ، وعلى الجذر ، والمصدر دون تصريفاته . ويضطر الكتاب تحت طائلة هذه

الاشتراطات ان يقولوا : طالبي بدل طلابي ، دُولي بدل دُولي عقيدي بدل عقائدي . والنسبة الى الجمع تقتضيها اوضاع معينة توجب التمييز في الدلالة كأن تقول : أثريّ ونقصد : موقع أو شيء قديم وأثاري ونقصد المشتغل بعلم الآثار . بحريّ ونقصد ما يتعلق بامور البحر من عموميات ، وبحاري للمشتغل في علوم البحار التي يسميها بعضهم خضامة . وغاباتي للمشتغل في الغابات . وغابي لما يختص بالغابة . مثلاً شجر غابي وموقع غابي ومنطقة غابية . وعلى هذا الغرار : دستوري ودساتيري ، رياضي ورياضياتي (لمنع الخلط بين المشتغل بالرياضيات والمشتغل بالرياضة البدنية) وساعاتي بدل ساعي لان المفرد ملتبس ، وكتبي وكتابي - ولكل منها موضع - وأثري وأثاري . . . واقتضى التنبيه ان النسبة الى الجمع دعا الى اباحتها الدكتور مصطفى جواد الذي مرّ ذكره ، وهو من كبار اللغويين المشهود لهم في اوساط الاكليروس بالتبحر وشدة التمسك بالتحريمات . وقد عاجلها في كتابه : «المباحث اللغوية في العراق» المطبوع ببغداد عام ١٩٦٥^(١) ، وكان المؤمل ان يحسم بهذه الفتوى الجدل في هذا الموضوع لولا أن الكتاب لا يقرأون .

النسبة الى الجذر والمصدر التي يشترطها اللغويون ايضاً تسبب بعض الالتباسات . . وقد نسب كاتب كبير معاصر الى مرآة فقال : مرآوي ! ولاشك في ان كثيراً من قرائه ، وهو كثير القراء ، قد احتاروا في قصده . ان النسبة الى مرآة هي مرآتي ، على اللفظ وليس على الجذر مادام غرض اللغة هو الابانة والتفهم وليس التعمية . وقد دعا اليها مصطفى جواد في كتابه المذكور آنفاً ، ورد على البصريين اشتراطهم هذه النسبة^(٢) . وينبغي الخضوع في هذا على اي حال لمقتضيات الذوق والدقة الى جانب الابانة . فقولنا : صحراوي هو على قياس اللغويين ولا اشكال فيه لانه سائغ ولو قال احدهم صحرائي لكان يرتكب ، علاوة على المخالفة الصرفية ،

(١) انظر الصفحتين ١٥ - ١٦

(٢) انظر الصفحات ٢٨-٣٣

حذقة المبتدع الباحث عن الجديد لاجل المخالفة واستعراض العضلات
وقد ترد امور تفرض استعمال صيغتين في النسبة احدهما موافقة للقاعدة
والاخرى مخالفة لكن لكل منهما دلالة ليست للآخرى ومنها مثال السماء ؛
نقول سماوي فيتبادر الى الذهن مفهوم السماء الديني والفلكي : الاديان
السماوية الثلاثة ، والاجرام السماوية ، في الفلك فاذا اردنا
الكلام عن ظاهرة جوية فان سمائي هي الادق . وقد تهيأ للانكليزية
اضطلاحان منفصلان HEAVEN بالمفهوم الاول للماورائيات في الغالب ،
و SKY للثاني وهو مفهوم مطابق لاصلها الترويجي القديم الذي يعني :
الغيم . وقد وردت سمائية في عامية العراق للكوة التي تحدث في السقف
لاجل الاضاءة والتهوية . ولفظها مطابق لمعناها ، وان كان هذا لايعني
انهم ارادوا التخلص من دلالة سماوية لانهم لايميلون مثل هذا البعد
المعرفي ، وانما مشوا على طريقتهم في النسبة الى اللفظ .

اعراب الفعل المعتل

يوجب النحاة حذف حرف العلة من المعتل الوسط والآخر في حالتي المضارع المجزوم والأمر المبني على السكون . وينشأ عن التقيد الحرفي بهذه القاعدة مشكلات في المعنى واللفظ . فقولنا : «لم يرق يلتبس في الخط باربعة افعال : يروق ويراق ويريق ويرقى . وقولنا لم يعد يلتبس بأربعة افعال ايضاً : يعود ويعاد ويعدّ ويعدو . وتنحل هذه الاشكالات اذا تخطينا القاعدة الى التعابير التالية :

لم يروق ، لم يريق ، لم يرقى ، لم يراق . .
لم يعود ، لم يعاد ، لم يعدو ، لم يعدّ . .

وقد مرت بنا امثلة من القرآن والشعر القديم على تجاوز هذا المحذور .

تتابع المضاف

يخطئ اللغويون من يقول : عرض وجوهر الشيء ، طبع ونشر الكتاب . فالصحيح عندهم : عرض الشيء وجوهره وطبع الكتاب ونشره . . وقد قال الفرزدق :

يا من رأى عارضاً أسرّ به بين ذراعي وجهه الأسد
فلم يكفي بوضع مضافين قبل المضاف اليه وانما جعل الأول في حالة
تشبيه وفصل بينه وبين المضاف اليه فارتكب ضرباً من الكفر النحوي يشبه ما
تقوله عمرة الخثعمية :

هما اخوا في الحرب من لا أخاله اذا خاف يوماً نبوة فدعاها
وعمرة الخثعمية اولى بالاتباع من اللغويين .

المفعول من الثلاثي المزيد

يصاغ اسم المفعول من الثلاثي المزيد على مُفْعَل مثل مفعم ومرغم ، من أفعم وأرغم . لكن العامة تجعله غالباً على وزن مفعول فتقول : منتج بدل منتج ومزعوج بدل مزعج . يفعلون ذلك في المزيد فقط ، دون المضعف الذي يحرون فيه على لغة الكتابة فيقولون : مرتب ومنظم وملون من رتب ونظم ولون . والسبب في هذا العدول عن القياس قد يرجع الى التباس المفعول بالفاعل لأن منتج بالفتح مثل منتج بالكسر الا اذا ميزت الحركة ، واستثقال زنة مُفْعَل في المفعول . ويرجع هذا التحوير الى ازمة سابقة تتصل بحقبة الشواهد ، كما يستفاد من قول شاعر متفصح :

ولا اقول لقدر الحي قد غليت ولا اقول لباب الدار مغلق
لأن الفصيح عنده غلت ومغلق .

لكن شاعراً سليقياً من ذلك الزمن قال :

بانئت نعيمة والدنيا مفرقة وحال من دونها غيران مزعوج
فخطاه النحويون فقال يهجوهم :

ماذا لقينا من المستعربين ومن قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
ان قلت قافية بكرة يكون بها بيت خلاف الذي قاسوه او ذرعوا
قالوا لحننت وهذا ليس منتصباً وذاك خفض وهذا ليس يرتفع^(١)

(١) معجم البلدان ١٢/١٠٣ - ١٠٤ .

يلاحظ مع هذا ان بعض مشتقات مفعّل تصلح في حالة الجمع مثل منتجات ومنتجات كلاهما سائغ وغير ملتبس . وربما استدعى المعنى او السياق ايراد احدهما بدل الآخر . لكن هذه الميزة تختفي في مشتقات اخرى مثل مزعوجات ومزعجات لأن الذهن ينصرف لدى رؤية الثانية الى صفة الفاعل ، مع ما فيها ايضاً من الخدلة الواضحة .

حول اسم التفضيل

يشق اسم التفضيل على زنة افعل مقترناً بحرف من . ويحظر اللغويون اجراء التفضيل في الأسماء والصفات على نفس الوزن مثل اسود وابيض واحق . فلا يصح عندهم ان يقال : فلان ابيض من فلان او فلان احق من فلان بل : فلان اشد بياضاً او اشد حماقة من فلان . . . وقد خرجت العامة على هذا الحظر فصارت تؤدى التفضيل في كل هذه الحالات . ومطلب اللغويين يتنافى مع الحاجة الى الاختصار وهو - اي الاختصار - معيار اساسي في لغة العصر . ويبدو أن هذا التحريم شأن الكثير من قواعدهم مفروض على لغة الكتابة التي بالغوا كثيراً في ابعادها عن لغة الكلام لأن العرب قالوا قديماً في امثالهم : احق من هبّة ، والامثال من لغة الكلام ، فهذا شاهد يدلنا على ان من قواعد لغة الكتابة ما افتعله اللغويون دون ان يكون له اساس في كلام العرب ، او انه كان في لهجة دون اخرى فاتخذوا من احداها قياساً للقاعدة وأهملوا الأخرى .

ثمة اشكال آخر يرد في تفضيل المؤنث الذي يشترط له اللغويون وزن فعلى اذا كانت معرفة بال فيوجبون ان يقال : اللجنة العليا ولا يميزون اللجنة الأعلى . وهم في ذلك يخلطون بين حالتين منفصلتين يترتب عن كل منهما معنى ليس للأخرى ، فقولنا اللجنة العليا يعني اللجنة التي ليس فوقها لجنة اخرى . فاذا كانت عدة لجان مترتبة وارادنا الاشارة الى احداها قلنا اللجنة الأعلى ونفهم منها عندئذ لجنة اعلى من لجنة دونها لكنها في نفس الوقت ادنى من لجنة اخرى اعلى منها . والاشكال النحوي يقع في

كون اللجنة مؤنثة وأعلى مذكر فلا يصح ان يكون صفة لها . فاذا اردنا التعبير عن حالة كهذه وجب ان نقول : اللجنة التي هي اعلى . وهو تطويل وحذقة لا مسوغ لهما .

المنقوص النكرة

يوجب النحاة حذف الياء في المنقوص النكرة فلا يقال : هذا بناء عالي بل عال ، ويسبب هذا الحكم تخليطاً في القراءة كأن يقال : بال بدل بالي فيحтар القارئ ان كان المقصود ماضي الفعل يسول ، ام الذاكرة (البال) ام مفهوم البلى ؟ ولدينا سوابق تناهض هذا التحريم منها قول الشافعي في «الرسالة» : «فرق النبي عملاً على نواحي عرفنا اسماءهم .» وقد صوبها محقق الرسالة احمد محمد شاكر وقال ان لها وجهاً في اللغة^(١) ومن الشواهد الشعرية قول الفرزدق يهجو لغويأ من الموالي كان يلاحقه بالخطئة :

ولسو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

نفس الشيء والشيء نفسه

يمنع اللغويون ان يقال : نفس الشيء أو يمين الشيء او ذات الشيء ويوجبون ان يقال : الشيء نفسه ، والشيء عينه ، والشيء ذاته . ولكل من هاتين العبارتين معنى ليس للأخرى ، فاذا منعت احدهما تعذر على الكتاب ان يجدوا وسيلة للتعبير عما تدل عليه . وتتضح المفارقة اكثر عند الترجمة من الانكليزية حيث توجد عبارتان في هذا الخصوص :

THE THING ITSELF, SAME THING

فاذا ترجمنا الأولى الى الشيء نفسه لم يبق مقابل للثانية . فالأفصح ان يقال : نفس الشيء للأولى ، والشيء نفسه للثانية .

(١) بند ١١٣٧ ص ٤١٥ .

البعض والكل

يُحرم اللغويون اقتراحهما بال التعريف لأنها معرفتان في نية اضافة والمضاف لا يعرف بال . فاذا قلنا جاء بعض وذهب بعض كان قصدنا : جاء بعض القوم وذهب بعض القوم . . وهذا تحكم يصدر عن الغلو في التابو فيجب ان لا يتقيد به الكتاب .

التفريق بين الضاد والطاء

ينطق الطاء في العراق وشبه الجزيرة صافياً كما هو . ويحول في لهجات اخرى الى صوت شبيه بالزاي المفخمة او الصاد المجهورة في مثل : يصدر وقصدير . وهو نطق قديم للصاد في مثل هذه المفردات . اما الضاد فينطق في العراق والخليج صوتاً شبيهاً بالطاء . وهو المسمى قديماً بالضاد الضعيفة . وهذا الصوت هو كل ما تبقى من الضاد التي زالت من بقية اللهجات وصارت تلفظ صوتاً قريباً من الدال . وليست لدى الاصواتيين اليوم فكرة قاطعة عن الصوت الأصلي للضاد سوى لفظه العراقي المتمزج بالطاء . وعلى اية حال فان هذا التغير في صوت الضاد قد سبب الصعوبة التي نعانيها في التمييز بينه وبين الطاء في الخط . وفي تقديرنا ان التطور الذي اصاب الطاء في اللهجات العربية الأخرى كالسورية والمصرية مفيد للتمييز لأن المصري والسوري قلما يخلطان في كتابتهما اذا تركا في التعليم دون تعديل . لكن لاجابة مدرس اللغة تفرض تحوراً في النطق يؤدي الى التقارب في لغة القراءة بين الحرفين . والمتعلم السوري كما رأيت بلفظ الطاء طاء في القراءة و «صاداً مجهورة» في الكلام ولو ترك لعفويته لما اختلط عليه الأمر في الخط .

على ان المشكلة تبقى مع الناطقين بالضاد والظاء مع العرب . ولا
سبيل الى حلها الا بالتساهل واغماد سوط الارهاب المدرسي ضد الطلاب
والمعلمين . وقد ورد عن اللغوي القديم ابن الاعرابي ان العرب كانت
لا تفرق بين الضاد والظاء فتضع احدهما في مكان الآخر^(١) . ونحن في
الوقت الحاضر احوج من القدمات الى هذه الرخصة . ويمكننا ان نبادل بين
الحرفين في المفردات غير الملتبسة ، وهي معظم الظائيات والضاديات
فنكتب : ظاهر وضاهر ، وضابط وظابط ، وناهض وناهظ . . . ولا
نتقيد بالتفريق الا في مفردات متجانسة مثل : ضلال وظلال وهي قليلة
يمكن حفظها دون عناء كبير .

(١) انظر ترجمته في الجزء الأول من وفيات الأعيان .

ملاحق

حول الحروف غير الفصيحة

قدر حمزة الاصفهاني حروف اللغات بمجموعها بأربعين وقال ان الأبجدية التي تجمع هذه اللغات يجب ان تكون اربعين^(١) . ويستشرف حمزة بهذا القول حلم اللغة العالمية ؛ المفترض انها تضم جميع الأصوات التي يمكن للبشر أن يتلفظها ، رغم ان تقديره ادنى من الواقع .

وفي بحث الزمخشري للحروف قال ان عددها في العربية يرتقي الى ثلاثة واربعين^(٢) ؛ الحروف الأصول - التسعة والعشرون - وتتفرع منها ستة مأخوذ بها في القرآن هي الهمزة بين بين^(٣) والنون الساكنة التي هي غنة في الخيشوم نحو عنك وتسمى النون الخفيفة والخفية ، والفاء الإمالة والتفخيم نحو عالم وصلاة والشين التي هي كالجيم نحو اشديق .

واعتبر الزمخشري هذه الأصوات مقبولة وفصيحة . ثم ذكر بقية الأصوات وقال انها مستهجنة وهي : الكاف التي كالجيم والجيم التي كالكاف والشين والصاد التي كالسين والطاء التي كالتاء والضاد الضعيفة والطاء التي كالتاء والباء التي كالفاء .

ان الأصوات الأساسية من بين هذه هي : الشين التي كالجيم ، الكاف التي كالجيم ، الجيم التي كالكاف ، والباء التي كالفاء . ولم يذكر الزمخشري القاف التي كالكاف - قاف حمير - ربما لأنه اعتبرها صوتاً واحداً مع الجيم التي كالكاف . وفيما يلي موجز عن كل منها دون ان نتقيد برأي الزمخشري فيما استحسنه واستهجنه منها لأنه مبني على البلاغة القرآنية ،

(١) «التنبية على حدوث التصحيف» . تح . أسعد طلس . احياء عبد المعين الملوحي واسماء حمصي . دمشق ١٩٦٨ ص ٣٣ .

(٢) الفصل ص ٣٩٤ .

(٣) راجع تفصيلها في : «الأصوات اللغوية» لابراهيم انيس ص ٩١ وما بعدها .

ومع ان القرآن هو المعيار الأعلى للبلاغة العربية فان خلوه من حرف او صوت او مفردة لا يعني سقوطها من اللغة لأن القرآن ليس هو اللغة كلها .

الشين التي كالجيم : اي شين اشدق ، وقد ذكر الاستاذ ابراهيم انيس من امثلتها في اللهجة المصرية مشغول وهو نفس نطقها في اللهجة العراقية . ويشبه هذا الصوت الزاي الكردي التي تكتب زايًا مثلثة زَ ومنها تَزين : حياة . ونجدها في الانكليزية في الفاظ كثيرة ملفوظة غير مكتوبة مثل : TREASURE ويمكن لهذا الصوت ان يرسم في العربية على غرارها في الكردية اي زاي مثلثة . الكاف التي كالجيم : هي كاف الكشكشة التي تقابل الحرف CH في الانكليزية والاسبانية وبعض اللغات الأوروبية الأخرى . وهذا الصوت في معظم اللغات فينبغي ان لا نستغرب وجوده في العربية ويكتب رمزه حالياً جيم مثلثة جج او تاء بعدها شين : تش .

الجيم التي كالكاف : ويقابل حرف G في اللغات الأوروبية اذا لم يعقبه حرف علة يائي . ويوجد هذا الحرف في معظم اللهجات^(١) ربما باستثناء شمال العراق وسوريا الطبيعية - وان كانت منطوقة ايضاً في انحاء من فلسطين والأردن - ويكاد هذا الصوت ان يكون مشتركاً في كل لغات العالم التي قدر لنا ان نستمع اليها حتى الآن ، فمن الطبيعي بالتالي ان يكون في العربية قديمها^(٢) وحديثها . وهو يرسم في لغة الكتابة بعدة اشكال : كَ ، غَ ، ويرسمه المصريون ج وينطقونه قاهرياً .

(*) يحتمل انه كان كذلك في لهجات الاندلس ، وقد مر بنا ان بعض القافات العربية حورت في الاسبانية الى G وبعضها الى C او K والكثير من القسم الأول يلفظ اليوم بالقاف الحميرية في لغة الكلام ، مثل : ALGODON القطن ، ACELGA السلقى ، بينما حرفت قاف قايد الى c : alcaide وتلفظ هذه الكلمة حالياً بالقاف الصريحة في معظم اللهجات التي تلفظ القاف الحميرية .

(١) استنتج الاستاذ انيس ان هذا الصوت كان ملفوظاً في الحجاز أيام النبي . انظر : «الأصوات اللغوية» ص ٨٦ - ٨٧ .

هي الباء المثلثة التي تقابل حرف (p) اللاتيني . وكان يحول في لغة الكتابة أحياناً الى فاء كما نجد في تغيير اصبهان الى اصفهان . وهذا الصوت نادر في اللهجات العربية المعاصرة - حسب علمي - ونجده في عامية الوسط العراقي - المدن غالباً - في تلفظ مفردات اغلبها دخيل من اصل فارسي او تركي . وقد نسب النطق به قديماً الى بني عقيل .

في رأينا ان هذه الحروف يجب ان تستعاد في لغة الكتابة . وقد مر بنا انها كانت تنطق لا في لغة الكلام فحسب بل وفي قراءة النصوص المكتوبة بما فيها القرآن . ويأتي استبعادها في العصر الحديث من كونها لم ترد مرسومة في الخطوط التي وصلتنا . وعدم رسمها لا يعني عدم نطقها . وقد مر بنا أنفأ لفظ الزاي الكردية في الانكليزية وهو غير مكتوب وفيها ايضاً كثير من حالات الكشكشة تلفظ ولا تكتب ، وفي الاسبانية حيث يلفظ حرف C اذا وليه حرف علة يائي ، وحرف Z ، على اطلاقه ، ثاء في اللهجة الغالبة باسبانيا ، وفي معظم امريكا اللاتينية سيناً وزياً مع ان الخط واحد .

وانا ارى وجوب اخضاعها لحكمين ، الأول ان تكتب لها المفردات المعربة التي تحتوي عليها دوغماً حاجة الى ابدالها بالأصوات المألوفة في لغة الكتابة الحالية ، والتي قصرنا عليها وصف الفصاحة . مع العلم اننا نفضل هذا في الغالب . فالمثقفون ينطقون هذه الأسماء مثلاً كما ترد في اصلها : هيغل ، امبريالية ، تشرشل . . . ويمكن ان نكتب على هذا الاساس معربات من قبيل : دوغماً وديماغوغي وتنغستن فنلفظها قافاً حيرية من غير ان نضطر الى الابدال .

الثاني ان لا نشدد في الابدال عند التعليم في بلدان او اقاليم تنطق بمثل هذه الأصوات وان يترك ذلك لاختيارات المعلمين بعد ان يتقدموا في الدراسة . ومن المعروف اننا الآن نسمع المصري يقول : كجامعة القاهرة ونعرف ببساطة انه يعني جامعة القاهرة ونسمع اهل الكشكشة يقولون للمرأة ثيابتش ونعرف انهم يعنون ثيابك . هذا حين يصعب التعليم على ابدال .

ويبدو ان قولية الأصوات ليست هينة ، كما انها ليست ضرورة لوحدة اللغة . والاصوات بطبيعتها عرضة للتغير المستمر والسريع^(١) ففي الانكليزية مثلاً يكاد حرف الرء يختفي في بريطانيا بينما يتضخم نطقه في الولايات المتحدة ، وبعبكسه التاء الذي يقترب لفظه اليوم في الولايات المتحدة من الرء بينما يحتفظ في بريطانيا بكامل جرسه .

ومن الخطأ تطبيق مقاييس الفصاحة على هذا الاساس ما دامت هذه الحروف (غير الفصيحة) قد نطق بها العرب قديماً وان الذين ينطقون بها حديثاً انما يواصلون في الغالب نطق آبائهم . مقياس الفصاحة هنا نسبي لأنه يعتمد على حروف وصلتنا مخطوطة لا منطوقة . فنحن قد نرى مثلاً ان لهجة الأرياف السورية ولهجة شمال العراق هي الأفصح بالقياس الى المكتوب حالياً لأنها خالية من هذه الحروف لكن الحقائق التي عرفناها للتو تدل على ان هذه المقاربة رهن بشكل معين من الكتابة . ولو أن هذه النصوص وصلت الينا مسجلة بآلات التسجيل لتغيرت مقاييس الفصاحة عندنا !

على اننا في الحقيقة لم نكن في حاجة حتى الى هذا الاجراء وعندنا القراءات العشرة للقرآن ، وهي بحد ذاتها دليل مضاد للقولية وعلى ان وحدة اللغة كما استجليت في القرآن تختلف عن تصورنا الراهن لها . ويجب ان لا يغيب عن بالنا ان اللغة العربية هي من اللغات الكبرى من حيث : سعة قاموسها ، وكثرة المتكلمين بها - الذين يزدون اليوم على مئة وخمسين مليون - وسعة المساحة التي تنتشر فيها وهي تزيد على مساحة قارة اوربا . وكانت تقف هذه الحقيقة وراء تعدد اللهجات قديماً ، وهي اليوم، وقد اتسعت المساحة وتضاعفت ملايين الناطقين باللغة، تفرض علينا تصوراً لوحدها يستبعد هذا الشكل من القولية ويعتبر الاختلاف عاملاً مساعداً على اثراء اللغة : مفردات ومصطلحات واصواتاً، وبالتالي

(١) استشراف العلامة ابراهيم انيس احتمال تطور القاف في مصر الى الكاف مستنداً

الى دراستهما اصواتياً . انظر : الأصوات اللغوية ص ٨٧ - ٨٨ .

قد لا يكون من الصواب ان نصر على طريقتنا في استبعاد الحروف «غير الفصيحة» بل بالأحرى ان نتجه الى تعميمها واعتبارها جزءاً اساسياً من الأبجدية العربية .

ومن المفيد بهذه المناسبة ان نذكر بأن الأبجدية الكاملة توجد حالياً في لهجة بغداد التي تنطق فيها حروف لغة الكتابة كلها مضافاً إليها الحروف «غير الفصيحة» كلها . وتقتصر هذه الظاهرة على لهجة بغداد دون اللهجات العراقية الأخرى ، ففي الشمال تنعدم الكشكشة والقاف الحميرية ، وفي بعض نواحي الجنوب تنعدم الكاف او الجيم او القاف . اجتماع الأبجدية العربية الكاملة في بغداد له سبب تاريخي حيث كانت بغداد حاضرة العالم الاسلامي ومركز الحضارة السلامية وكانت بالتالي مقصداً للعرب من شتى الجهات والقبائل . وقد ناهز سكانها في عصرها الذهبي مليونين وهو رقم قياسي في حساب السكان قديماً . هذا فضلاً عن النسبة العالية في عدد زوارها الذين كانوا يحجون إليها لمختلف الأغراض . ولا شك انها جذبت اطرافاً من شتى القبائل العربية فكان هذا الشمول الصوتي الذي تتميز به لهجتها الآن . ورغم ان لهجة بغداد تعرضت لتشويه كبير بعد انتهاءالعصور الاسلامية وخضوع المدينة لاحتلالات اجنبية متعاقبة فقد حافظت حتى الآن على هذا الشمول في ابجديتها . ومن الجدير بالذكر ان البغاددة يستطيعون تلفظ اصوات الأجنبية دون صعوبة لأن جهازهم الصوتي متمرس بعدد وافر من الأصوات قد يزيد على الأصوات المحدودة في اية لغة على انفراد . ومجموعها حالياً اربعون بعد اسقاط الضاد الأصلية وحرف لا الذي هو حرف لا صوت ، واعتبار الضاد والظاء صوتاً واحداً .

الجموع ودلالاتها

تشكل ظاهرة الجموع في العربية في قطاع لغوي منفصل عن قطاع المفرد يصل في احيان كثيرة الى مرتبة الاستقلال الدلالي . وهذا بدوره مؤثر على تطور ايجابي في اللغة حين يقارن بصيغ الجمع البسيطة في بعض اللغات كالانكليزية والفرنسية . فالجمع في هاتين اللغتين يتم باضافة حرف S الى المفرد وهي صيغة كتابية في المقام الأول لأنها غير ملفوظة في الفرنسية بحكم القاعدة النحوية فيها ، وغالباً ما تدغم في الانكليزية عند الكلام فلا يعرف الجمع من المفرد . والتفريق بين المفرد والجمع ضرورة علمية وحياتية في آن واحد ، ونجده في صيغ متطورة ببعض اللغات كالألمانية التي تستعمل في بعض جموعها لاحقة من حرفين هما الياء والنون فيقال في جمع MENSCH انسان MENSCHEN . وفي الصينية لاحقة جمع متميزة هي مين تلحق بالمفرد عند جمعه . ومثالها : تونجه بمعنى «رفيق» تجمع على : تونجَمين وتدخل هذه العلامة كذلك على الضمائر في حالة الجمع لكنها قليلة فيما عداها .

ونجمل فيما يلي خصوصيات الجموع في العربية :

١ - اختلاف الدلالات باختلاف أبنية الجمع للمفرد الواحد . ومن امثله : قوة : اذا جمعت على قوات افادت المفهوم العسكري واذا جمعت على قوى افادت الدلالة المعنوية . فيقال : القوات البرية اي الجيش البري . والقوى السياسية أي الأطراف العاملة في مضمار السياسة .

رسالة : تجمع على رسائل فتفيد خطابات البريد وتجمع على رسالات فتفيد النبوات وما في حكمها من المهام التاريخية الكبرى . وقد ورد في القرآن : «ابلغكم رسالات ربي» ولم يقل «رسائل ربي» وللجواهري :

تأبى انحلالاً رسالات مقدسة

جاءت تقوم هذا العالم الحربا

بيضة : اذا جمعت على بيض وبيضات افادت البيض المعروف فاذا
جمعت على بيوض اختصت بالحشرات والديدان . ولهذا لا يقال بيوض
الدجاج بل بيض الدجاج ولا يصح ان يقال بيض الحشرات بل بيوض
الحشرات ...

٢ - هناك الفاظ متداولة في حالة الجمع دون المفرد اما لالتباس المفرد
بغيره اولانه غير مألوف او مستثقل . ومن هذه : شمائل مفردها شال وهو
مختلط باسم الجهة فأهمل . وجمعه دلالة مستقلة على معناه . وفطاحل
مفردها فطحل لأنه مستثقل في اللفظ .

٣ - والفاظ مفردها متجانس وجمعها مستقل ، ويصح هذا الوضع
على شمائل التي مرت آنفاً ، ولكن مع فارق وهو أن مفرد شمائل لا يدل
على المعنى الذي يؤديه الجمع ، اما هنا فالمفرد دال ومتداول فيه . مثلاً
ضرب بمعنى «نوع» يتجانس مع المعنى المعروف لكنه متداول بهذا المعنى
ايضاً . ويتميز جمعه بدلالة مستقلة لأنه يجمع على ضرب وفيد معنى
الأنواع حصراً . ويستحسن لذلك اخذه دون مفرده . ومن هذا ايضاً :
خاصة ، مفردها متجانس مع اللفظ المضاد للعامة وجمعها على خواص
يعطيها في الوقت الحاضر معنى الخصائص والخصال .

٤ - هناك جموع تكسير ومؤنث سالم ينسب اليها فتكتسب دلالة
حاصرة على المنسوب ، وقد شاعت في العصور الاسلامية مثل الدوانيقي
لقب ابو جعفر المنصور وكتبي لبائع الكتب وساعاتي لصانع الساعات او
المشغل في امورها . وقد تحدثت عن هذه الجموع في باب الاصطلاح .

٥ - وتنقسم جموع التكسير الى جموع قلة وجموع كثرة . وينبغي على
الكتاب ان يتقنوا التفريق بينها توخياً للدقة . والأوزان المعتادة لجموع
القلة هي : فعلة ، أفعله ، أفعال ، وأفعل . والأول غير موجود في اللغة
المعاصرة منطوقها ومكتوبها . اما الثاني فمتداول في المكتوب دون المنطوق

- بقدر ما يتعلق بلغة الجيل السابق - ومن امثلته : اسورة جمع سوار والكثرة اساور والثالث معروف في اللهجتين ومثاله : اوراق جمع ورقة وكثرته : ورق والرابع معروف ايضاً فيها ومثاله انفس جمع نفس وكثرته نفوس . مع التنويه بأن هذه الأبنية لا تدل دوماً على القلة لأن بعض الجموع تقتصر عليها ، مثل سبب يجمع على اسباب في كل الأحوال وهو بناؤه الوحيد ، واطعمة جمع طعام . .

يفيد القلة حصراً جمع المؤنث السالم للمصغر ، ومثاله : لقيات وبويات ووليدات . . وهي جموع قلة كثرتها : لقم وبيوت وولد . . وتكثر هذه الجموع في ارياف العراق من خلال تعابير عفوية ينعكس فيها بؤس الفلاحين وأوضاعهم المهينة .

وفي الجموع العربية مع هذا عيوب ومشاكل ، فبعض ابنتها غير صالح!ة وفي بعضها الآخر تطويل كجمع المذكر السالم للمفردات التي يأتي وزنها على فاعيل والمؤنث السالم للمفردات على وزن فعلى . وقد عالج الفصحاء قديماً والعامّة حديثاً هذه الصعوبات باللجوء الى الخيارات التي يوفرها التصريف ؛ فكسر القدماء كثيراً من جموع فعلى على فُعْل ومنها الألوان فقالوا : حمر وسود وبيض بدلاً من احمرين وحمراوات وسوداوات وسودات وابيضين وبيضاوات . . . وهو الجمع السائد ايضاً في عامية اليوم . وجمعوا اوزان فاعيل على صيغ تكسير خفيفة بدلاً من المذكر السالم او المؤنث السالم فقالوا : جريح وجرحى ومريض ومرضى ، كبير وكبار وصغير وصغار . واتجهوا الى حصر المذكر السالم في اوزان الفاعل من الرباعي كمؤ من ومصلح ومذنب لخفتها .

ومما يدخل في باب التسهيل جمع اسماء الشعوب ، التي تشغل مكاناً واسعاً في لغة اليوم ، لاسيما الصحافة ، فالكثير منها يجمع في اوزان تكسير خفيفة . . مثل : عربي عرب ، سوفيتي سوفيت ، روسي روس ، بلغاري بلغار ، افغاني افغان ، كردي اكرد ، تركي اتراك ، فارسي فرس ، اسباني اسبان ، هندي هنود ، اغريقي اغريق ، يوناني يونان ،

انكليزي انكليز ، امريكي امريكان ، لاتين امريكي لاتين
امريكان ويمكن التوسع في هذه الحالات لتكسير اي اسم مماثل
خلاصاً من المذكر السالم .

هناك ايضاً مفردات يمكن ان يتساوى مفرداها وجمعها ولو على غير
قياس . مثل احتياط يمكن ان يقال : العضو الاحتياط والأعضاء الاحتياط
ولا داعي للأعضاء الاحتياطيين كما يتحدثق بعض الكتاب . وقد جاء في
القرآن : «ويخرجكم طفلاً . . . » و«هؤلاء ضيفي» ويكتب بعض
المصريين على هذا الغرار : عشرة كتاب ، خمسة درهم ، تسعة
قلم

معضلة التشكيل

من المعروف ان الكلمة العربية تتضمن اصواتاً مضمرة هي الحركات
الثلاثة : الفتحة ، والضمّة والكسرة ، فهي تقرأ بكل حروفها مضافا اليها
هذه الأصوات غير المكتوبة ويأتي هذا على النقيض من بعض اللغات ،
كالانكليزية والفرنسية . . التي تحتوي الكلمة فيها على اكثر من المقروء ،
اي حروف زائدة . وتوفر الكلمة العربية باضمار الحركات اختزالاً في
المساحة التي يشغلها المكتوب يصل احياناً الى النصف ، كما في هذا
المثال :

TELEVISION

تِلِفِزَن

لكن خلو الكلمة من الحركات يعرقل قراءتها مضبوطة . ويفترض
ان العربي يتعلم لفظ الكلمة الصحيح من خلال التعليم ، وقد اثبتت هذه
الوسيلة جدواها في شيوع التلفظ الصحيح لأغلب الكلمات المكتوبة دون
حاجة الى تشكيلها. ولسنا نجد بين المتعلمين من يخطيء في قراءة كلمات من
قبيل : حياة ، نشاط ، كتابة ، قراءة ، سياسة ، يلعب ، يمشي ،

يركض ، دفتر ، قلم ، مطر ، سماء ، سحب ، نجوم ، كوكب ،
جسم ، جسد ، مسألة ، اقتصاد ، انثروبولوجي ، فيزياء ، علم ،
معرفة ، يكتب ، كفاح ، صراع ، مساواة ، حزب ، حكومة ، ...
والوف المفردات الأخرى . . وانما يخطئون في حركتها الاعرابية وهي شيء
طارىء على بنية الكلمة .

لكن هناك حاجة الى التشكيل في حالات معينة منها :

١ - ان تكون الكلمة غير مألوفة تماماً فيلزم تشكيلها حتى تشبع
ويتعود الناس على قراءتها مضبوطة .

٢ - تمييز الفعل المبني للمجهول وهو ضروري جداً ، اذ غالباً ما
يخطئ فيه القراء . ولا يتطلب ذلك غير وضع الضمة على اول الفعل وهي
العلامة الأساسية للبناء على المجهول . وقد بينت سابقاً امكان تقليص
استعمالات هذا الفعل بالجوء الى صيغة المطاوعة المستعملة في لغة
الكلام .

٣ - بعض حالات المزيّد او المضعف من الثلاثي التي تقتضي التمييز
حتى لا تختلط بالثلاثي . مثلاً : يقبل (من القبول) يقبل (من الاقبال)
يقبل من (التقبيل) ويقتضي تمييزها وضع الضمة على الياء والكسرة على الباء
لافادة الاقبال ، والضمة على الياء والكسرة مع الشدة على الباء لافادة
التقبيل . ومع البناء للمجهول توضع الفتحة مع الشدة . والحاجة الى
التمييز في المضارع المزيّد تقتصر على المضارع لأن ماضيه متميز بنفسه :
قبل ، أقبل . اما ماضي المضعف فيمكن الاختصار في تمييزه على الشدة قبل
قال الاستاذ محمود تيمور ان الحركات هي حروف ناقصة - أي
صغيرة - في الكلمة العربية حقها ان تستوفي كما في اللغات الأجنبية . وقد
وضع مشروعاً لحروف الطباعة يتيح اضافة الحركات الى الكلمة ، ويقوم
على تقليص مفاتيح مكائن التنضيد الى ثلاثين بالاكتهاء من صور الحروف
بصورة واحدة ، مما يوفر جهداً كبيراً يستفاد من بعضه لاضافة الحركات من
دون عناء . وفيما يلي صورة من المقترح منقولة من كتابه «مشكلات اللغة
العربية» . .

صَحِيفَةُ الْمَثَالِ

أَرَبَ أَنَّ نَقَطَ صِرَ مِنْ صُورِ الْحُرُوفِ عَلَى
 صُورَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ لِصُنْدُوقِ
 الْحُرُوفِ الْمَطْبَعِيَّةِ عِيُونٌَ لَا تَتَجَاوَزُ الثَّلَاثِينَ
 عَدًّا . فَذَنُخِلْ مِنْ ذَلِكَ الْعِيُونَِ اللَّتِي تَزِيدُ
 عَلَى ثَلَاثِمِائَةٍ . وَأَنْ نَتَّخِذَ عَلَامَاتِ الضَّبْطِ
 الْمُنْتَعارِفَةِ الْجَارِيَةِ بِهَا الْإِسْتِعْمَالُ ، وَسِيرُ حَبِّ
 بِهَا صُنْدُوقِ الْحُرُوفِ الَّذِي تَخَفَّفَ مِمَّا كَانَ
 يَغْصُ بِهِ مِنَ الصُّورِ الْمُنْتَعدَّةِ لِلْحُرُوفِ الْأَصْلِيَّةِ
 وَأَنْفُسَ حَتَّى جَوَانِبِهِ لِتَقْبُلَ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ فِي
 غَيْرِ مَشَقَّةٍ وَلَا عُسرٍ . وَطَوَّعًا لِهَذَا يَتَوَافَرُ
 لِلطَّبَاعَةِ غَنَمٌ مِنَ السُّهُولَةِ وَالتَّيسِيرِ ،

كَمَا يَتَوَافَرُ لِلذِّكْرِ تَابَةٌ غُنْمٌ مِنْ تَعْمِيمِهِ .
الضَّبْطُ بِلَا عَدَالَةٍ .

وَأَقْتَرَحُ أَنْ تَكُونَ الصُّورَةُ الدِّيبُ نَقْصَرُ
عَلَيْهَا مِنْ صُورِ الْحُرُوفِ هَيْبُ الصُّورَةِ الدِّيبِ
تَقْبُلُ الْإِتِّصَالَ مِنْ بَدَنِ الْكَلِمَاتِ ، وَهَيْبُ
الدِّيبِ يُسَمِّيهَا أَهْلُ فَنِّ الطَّبَّاعَةِ : حُرُوفًا
« مِنْ الْأَوَّلِ » . عَلَيَّ أَنْ تُؤَثِّرَ الْكَافُ الْمَبْسُوطَةُ
وَأَنْ تَطْلُ حُرُوفُ الْأَلِفِ وَالذَّالِ وَالرَّاءِ وَالزَّايِ
وَالْوَاوِ وَالنَّالِ الْمَرْبُوطَةُ وَاللَّامِ الْإِلِفِ بَاقِيَةً
عَلَيْ صُورَتَيْهَا فِي حَالَةِ إِفْرَادِهَا .

وَهَذَا هُوَ ذَا نَمُودَجِهَا فِي صُنْدُوقِ الْحُرُوفِ
الْمَطْبَعَةِ :

أ ب ث ج د ذ ر ز س ش ص ض
ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي

وقد اخذت بعض المطابع ببعض افكار هذا المشروع فيما يختص بتوحيد صورتى الحرف الأولية والوسطية في صورة واحدة . وملاحظتنا عليه :

١ - ان صورة الحرف الأخير ملتبسة في بعض الكلمات . مما يوجب ابقائها على صورتها الأصلية . ومن هذه : النون المشتبهة بالذال ، وياء المقصور المشتبهة بياء المنقوص كما في على .

٢ - ان الحروف متباعدة قليلاً مما يجعلها تشغل مساحة اكبر من الحروف الحالية ، وينبغي ازالة الفجوة بين الحروف لتقليل المساحة .

٣ - الافراط في التشكيل يتنافى مع الاقتصاد في الجهد ، وقد يؤدي الى عكس الغرض حين يجد القارئ نفسه ضائعاً في أجمة الحركات . ان عبارة مثل : ارى ان تقتصر من صور الحروف على صورة واحدة . لا تحتاج اي حركة لقراءتها مضبوطة ، فلا داعي لاثقالها بهذه الاضافات . ومن الحري بالتنويه هنا ان اللغة الانكليزية تكتفي لضبط القراءة بوضع اللفظ الصحيح للكلمة في القواميس فقط . وهذه سابقة ينبغي الاستفادة منها ، وان كانت امكانات الضبط عندنا خلال الكتابة لا تشير نفس المشكلة ، لأن ضبط الكلمة الانكليزية يقتضي رد كتابتها كاملة بلفظها الصحيح ، وضبطها بالعربية لا يقتضي اكثر من الحركات . ومع هذا فان الاصرار على التحريك الكامل لكل كلمة قد يكلف جهداً لا يقل عن رد الكتابة بالحروف الكاملة لنطقها .

اخيراً ارى الاشارة الى ان هناك مشروعات تيسير طباعة كثيرة عرضت حتى الآن . اقربها الى مشروع تيمور هو مشروع الشاعر والفنان العراقي الأصل محمد سعيد الصكار المقيم حالياً في باريس . وقد تعذر تنفيذ اي من هذه المشروعات لأن تنفيذها يتوقف على الدول لا على الأفراد . وما لم تبادر دولة ما الى التفكير في هذه المشكلة بعيداً عن مطالب الدعاية والاعلام فانها ستبقى مشروعات ...

فكرة حول كتابة الحوار

مر بنا ان الجاحظ دعا الى كتابة الحوار كما ينطقه المتحاورون وانه التزم هذه الخطة في كتاب «البخلاء» . وان كان ما بقي من النسخ الواصلة الينا من هذا الكتاب لا يعطينا صورة كافية عن كفيته .
ان خطة الجاحظ على اى حال كان يجب ان تبعث في هذا العصر لكي تساعد على حل مشكلات لغة الحوار القصصي والمسرحي . ان السائد حتى الآن في هذا المضمار هو اما الكتابة بلهجة محلية صرفة لا تصلح الا لبلد معين او حتى جزء من بلد ، واما الكتابة بلهجة كاملة (الفصحاة) تفرض على المثقف والعامل والفلاح ولا تراعي واقع الفروق الثقافية الكبيرة بين فئات المجتمع .

واستثناسا بما وقفنا عليه حتى الآن من تجارب الكتابة بنمط موحد والقراءة بانماط مختلفة ، كما في القراءات القرآنية ، يمكن ان نتصور شكلا من لغة الحوار تلتزم به الأعمال الفنية المكتوبة لتقرأ على نطاق عربي عام ، ويقوم على كتابتها بلهجة عامية مفصحة ، مشتركة بقدر الامكان ، تصلح لقراءات مختلفة بحسب اللهجات . ولنضرب مثلا في هذا الحوار لرجل فقير يخاطب بنتا عابثة ، وقد اقتطعته من قصة صينية ترجمتها :

- روعي من هنا . امشي . انسان ما يقدر يدفء نفسه بالنار تحين انت وتنفيها حتى تنظفي .

هذا الحوار يمكن ان يقرأ بحروفه الموحدة في الخط على الأوجه التالية بحسب اللهجات .

١ - في القاهرة :

روحي من هنا . امشي . انسان ما يأدر يدفي نفسه بالنار تـيـكين انت وتنفيها حتى تنظفي .

- ٢ - في دمشق وبירות :
روحي من هنا^(١) . امشي . انسان ما يادر يدفي نفسه بالنار تحين
انت وتنفخها حتى تنطفي .
- ٣ - في بغداد .
روحي من هنا . امشي . انسان ما يكدر يدفي نفسه بالنار تحين انت
وتنفخها حتى تنطفي .
- ٤ - في السودان .
روحي من هنا . امشي . انسان ما يكدر يدفي نفسه بالنار تحين انت
وتنفخها حتى تنطفي .
- ٥ - في جنوب العراق والخليج :
روحي من هنا . امشي . انسان ما يكدر يدفي نفسه بالنار تحين انت
وتنفخها حتى تنطفي .
- ٦ - في اليمن :
روحي من هنا^(١) . امشي . انسان ما يقدر يدفي نفسه بالنار تحين
انت وتنفخها حتى تنطفي .
- ٧ - في شمال العراق
روحي من هنا^(١) . امشي . انسان ما يقدر يدفي نفسه بالنار تحين
انت وتنفخها حتى تنطفي .

هذا ما امكنني تصويره من قراءات تقريية . ويتعذر علي
استقصاؤها في جميع اللهجات بسبب خبرتي المحدودة فيها . وينقص هذه
الصور تعيين النبرة التي لا يمكن كتابتها . وقد اعترضنا في هذا النص
إشكال هام هو كلمة هنا التي تلفظ في سوريا وشمال العراق هون وهوني .
وفي بعض لهجات اليمن هانا . وفي حالة كهذي لا بد من التفصيح
النسبي بابقاء هنا على حالتها ، وتركها لتلفظ بحسب النبرة بدرجة تقربها
من الكلام الدارج . ويعتمد في هذا الاجراء على الأدوار التي يؤجلها
التفصيح للخروج بالدراج من خاميته ومحليته الصرفة .

الأبجدية العربية الكاملة

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش
ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ
و ي

الهمزة . تش (كاف الكشكشة) . ك (قاف حمير او جيم القاهرة) . ژ
(الزاي الكردية) . پ

الفهرس

٥	فاتحة
٩	مدخل
	علاقات المنطوق المكتوب واصولها التاريخية
	مقدمة للوصول الى تكامل لغوي
٥٦	مشكلات الاعراب ومقومات انتقال لغة الكتابة الى النحو الساكن
٧٥	قاموس العامي - نحو عربية موسعة
٧٩	قضايا الاصطلاح ومستلزمات لغة العلم
١٢٥	قضايا معجمية
١٤٣	الفقر في لغة الكتابة الحديثة
١٥١	تحريمات وتيسيرات
١٧٣	ملاحق